اقتباس أحكام النور
من سورة النور

تأليف

الشيخ / أحمد بن عبدالله محمد مشهور حمدي

© دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حمدي ، أحمد عبدالله محمد مشهور

اقتباس أحكام النور من سورة النور.- الرياض.

١٦٤ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٩ - ١٥ - ٦٤٠ - ٩٩٦٠

١- القرآن - أحكام ٢- القرآن - سورة النور - تفسير أ- العنوان

ديوي ٢,٢٢٦ ١٩/١٠٨٦

رقم الإيداع : ١٩/١٠٨٦

ردمك : ٩ - ١٥ - ٦٤٠ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعـة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار الشريف للنشر والتوزيع

ص.ب : ٥٨٢٨٧ - الرياض : ١١٥٩٤

هاتف وفاكس : ٤٧٣١٤٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ .

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، خلقه من نطفة أمشاج يبتليه ، فجعله سميعاً بصيراً ، وهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ، يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم ، وإليه المصير ، يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور ، هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، ونشهد أنه أرسل محمد بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وصلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد : هذه سورة النور . سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي ، يذكر فيها النور ، بلفظه متصلاً بذات الله ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة ، وتنير القلب ، وتنير الحياة .

ويربطها بذلك النور الكوني ، الشامل أنها نور في الأرواح ، وإشراق في القلوب ، وشفافية في الضمائر ، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير .

ولهذا ضمنها الاستئذان في المساكن والمطاعم وفي الأمور الجامعة ، كالصلاة ، والجهاد ونحوهما .

ووصفها بذكر النور الذي هو مادة كل خير وصلاح في كل شيء ، وهو ينشأ عن امتثال أمر الله واجتناب نهيه ، وعن الصبر على ذلك . فإنه ضياء ، فإن حفظ الحدود بتقوى الله ، يجعل لصاحبه نوراً .

كما قال تعالى : ﴿ اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ (١) . فضدَّ النور الظلمة ، ولهذا عقب ذكر النور وأعمال المؤمنين بأعمال الكفار ، وأهل البدع والضلال ، قال تعالى :

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ (٢) . وقد قرن الله سبحانه بين الهدى والضلال بما يشبه هذا كقوله تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ (٤) . وهذا النور الذي

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .
(٢) سورة النور ، الآية : ٣٩-٤٠ .
(٣) سورة فاطر ، الآية : ١٩-٢٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

يكون للمؤمن في الدنيا على حسن عمله واعتقاده ، يظهر في الآخرة . كما قال الله تعالى : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ☆ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ [1] . فاخبر سبحانه أن المنافقين يفقدون النور الذي كان المؤمنون يمشون به ، ويطلبون الاقتباس من نورهم ، فيحجبون عن ذلك بحجاب يضرب بينهم . كما أنهم في الدنيا لما فقدوا النور . قال تبارك وتعالى : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ .

هذه السورة تبدأ بإعلان قوي حاسم عن تقرير فرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف ، ومن آداب وأخلاق : ﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾ . فيدل هذا البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة ، ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الإسلامية ، وفي فكرة الإسلام عن الحياة الإنسانية .

وهذا سبب اختياري تفسير هذه السورة المباركة ذات النور المشرق على الإنسانية ، بل وعلى جميع الكون العلوي والسفلي : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ ..

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٢-١٣ .

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لإتباع ما أنزل على نبيه الكريم صلى عليه وسلم ، وأن يرزقنا الإخلاص والصواب ، إنه سميع مجيب الدعوات . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلـــــف

تفسير سورة النور الآيات من : (١ - ١٠).

القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (٢) الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينحكها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (٣) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون (٤) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٥) والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين (٦) والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين (٧) ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين (٨) والخامسة أن

غضب الله عليها إن كان من الصادقين (٩) ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠) ﴾ .

هذه الآيات الكريمات اشتملت على البحوث الآتية :

البحث الأول

قال الله تعالى : ﴿ سورة أنزلناها ﴾ أي هذه سورة من كتاب الله . أنزلناها أي على رسولنا محمد ﷺ . ﴿ وفرضناها ﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام .. وقد أوجبنا ما فيها من أحكام إيجاباً قطعياً ﴿ وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾ . أي تتذكرونها فتعملون بموجبها .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، في تفسير هذه الآيات : هذه السورة فرضها الله تعالى بالبينات ، والتقدير والحدود ، التي من يتعد حلالها إلى حرامها فقد ظلم نفسه ، ومن قرب من حرامها فقد اعتدى وتعدى الحدود، وبيّن فيها فرض العقوبة ، وآية الجلد وفريضة الشهادة على الزنى ، وفريضة شهادات المتلاعنين ، كل منهما يشهد أربع شهادات بالله . ونهى فيها عن تعدي حدود الله في الفروج والأعراض والعورات ، وطاعة ذي السلطان ، سواء كان منزله أو ولايته . ﴿فرضناها﴾ والمقصود بها توكيد الأخذ بكل ما في

السورة على درجة سواء . ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات . هذه الآداب والأخلاق المركوزة في الفطرة ، والتي ينساها الناس تحت تأثير المغريات والأنحرافات ، فتذكرهم بها تلك الآيات البينات ، وتردهم إلى الحق منطق الفطرة الواضح المبين . ويتبع هذا المطلع القوي الصريح الجازم ببيان حد الزنا ، وتفضيع هذه الفعلة ، التي تقطع ما بين فاعليها وبين الأمة المسلمة من وشائج وارتباطات .

البحث الثاني

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ . هذا شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها ، أي من زنى من الرجال والنساء ، فأقيموا عليه هذا الحد ، وهو أن يجلد أي يضرب على جلده مائة جلدة عقوبة لما صنع .

تعريف الزنا :

قال اللحياني الزنا (مقصور) لغة أهل الحجاز ، والزنا (ممدود) لغة بني تميم (١) والزنا - في عرف الشرع واللسان - وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهة الملك (٢) .

---

(١) لسان العرب المجلد٢ (ص ٥٤) .

(٢) الهداية شرح بداية المبتدي ج٢/ص ٤٣٣ .

وهو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين، وهذا متفق عليه بالجملة من علماء المسلمين وهو فعل الفاحشة في قبل أو دبر، وهو من الكبائر العظام ، وهو أن يأتي رجل وامرأة بفعل الجماع بغير أن تكون بينهما العلاقة الزوجية المشروعة [1] .

الزنا رجس وفاحشة تنفر منه الطبائع السليمة ، وتحرمه الأديان السماوية، لما فيه من مفاسد نذكر منها اختلاف الأنساب ، وقطع الأرحام ، وتقويض الحياة العائلية ، وتشتيت الأسرة ، وانتشار الأمراض الجنسية ، وضعف بنية الشباب ، وانتشار الجرائم وغير ذلك .

والزنا هو وطء الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبه نكاح ، وقيل هو إيلاج فرج في فرج مشتهي طبعاً محرم شرعاً ، والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه ، لا المكرهة .

اعلم أخي المسلم : أنه كان حد الزانيين في أول الإسلام ما جاء في سورة النساء : ﴿ واللآتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ .

فكان حد المرأة الحبس في البيت والأذى بالتعيير ، وكان حد الرجل الأذى بالتعيير . ثم أنزل الله حد الزنا في سورة النور ، فكان هذا هو (السبيل) الذي أشار إليه من قبل آية النساء .

(١) الاقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل - (ج٤ - ص ٢٥٠) - المطبعة المصرية .

والجلد هو حدّ البكر من الرجال والنساء . وهو الذي لم يحصن بالزواج ويوقع عليه متى كان سلماً بالغاً عاقلاً حراً .

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعصا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً ، أي جلد غير مبرح ، وزادت السنة تغريب سنة . أي يغرب عن بلدة عاماً عند جمهور العلماء ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإن عنده أن التغريب إلى رأي الإمام إن شاء غرّب وإن شاء لم يغرب .

وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفاً - يعني أجيراً - على هذا فزنى بامرأته ، فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فاخبروني أن على ابني جلدة مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى - الوليدة والغنم ردٌّ عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام ، واغد يا أنيس لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً .

فأمّا إذا كان محصناً فإنه يرجم كما روى الإمام مالك : عن ابن عباس أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد : أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ ، بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا بعده ، فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضنوا بترك

فريضة قد أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء إذا قامت البينة ، أو الحبل أو الاعتراف(١) . وقال بن عمر : نبئت عن كثير بن الصلت قال : كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد بن ثابت : كنا نقرأ : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) قال مروان : ألا كتبتها في المصحف ؟ قال : ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب ، فقال : أنا أشفيكم من ذلك ، قال - قلنا فكيف ؟ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ قال : فذكر كذا وكذا الرجم فقال : يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال : (لا أستيطع الآن) هذا أو نحو ذلك (٢) .

وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة ، ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به . وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة لما زنت مع الأجير ورجم رسول الله ﷺ (ماعزاً) و (الغامدية) ولم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدهم قبل الرجم .

ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله .

وذهب الإمام أحمد إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة ، كما روى الإمام أحمد وأهل السنن عن عبادة بن الصامت قال - قال رسول الله ﷺ : « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن

---

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولاً .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والنسائي .

سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)

وقوله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهما في شرع الله ، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك ، قال مجاهد : (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فتقام ولا تعطل ، وقد جاء في الحديث : تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب) . وفي الحديث الآخر : (لحد ، يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً) وهكذا فرضت الشريعة الإسلامية أشد العقوبات على الزناة في كلتا الحالتين في الإحصان والبكر وما ذلك إلا لشناعة الزناة .

يقول الإمام ابن القيم في بيان حكمة الرجم للمحصن : (ولما كان الزنا من أمهات الجرائم وكبائر المعاصي ، لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل معه التعارف والتناصر على إحياء الدين ، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل فشاكل في معاينة أو في أكثرها القتل الذي فيه هلاك ذلك ، فز جر عنه بالقصاص ليرتدع عن مثل فعله من يهم به) ..

وأما الجلد للبكر : فيقول الإمام : (وزجر بإيلام جميع بدنه بأعلى أنواع الجلد ردعاً عن المعاودة للاستمتاع بالحرام ، وبعثا له على القنع بما رزقه الله من الحلال [1] .

---

(١) نقلاً عن أعلام الموقعين ٢/١٠٧ - ١٠٨ بالإختصار - طبع دار الفكر بيروت .

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى : فهي الصرامة في إقامة الحد ، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما ، وعدم تعطيل الحد ، أو الترفق في إقامته ، تراخياً في دين الله وحقه وإقامته ، في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ، فيكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين [(١)] .

﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ . هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا بحضرة الناس ، فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما ، وأنجع في ردعهما ، فإن ذلك تقريعاً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً .

ويقول الإمام ابن القيم في تفسير الآية : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن .. ﴾ هذا دليل على أنها فواحش في نفسها لا تستحسنها العقول ، فتعلق التحريم بها لفحشها . ثم يقول الإمام : (ومن هذا قوله تعالى في آية ١٧/٣٣ ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ .

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير الآية : (ووصف الله الزنا وقبحه ﴿ كان فاحشة ﴾ أي إنما يستفحش في الشرع والعقول ، والفطر ، لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله ، وحق المرأة ، وحق أهلها وزوجها وافساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد [(٢)] .

ومما يدل على قباحة الزنا عند العقل السليم أن الطبائع السليمة كانت

---

(١) في ظلال القرآن : ٢٤٨٨ /ج ٤ .

(٢) تفسير كلام المنان مع التحقيق للشيخ محمد زهري النجار ٢٧٥/٤ ملتزم الطبع المؤسسة السعيدية بالرياض .

تأباه حتى قبل ورود النهي عنه .

ومن ذلك ما رواه الإمام ابن ماجه في سننه عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحل دم أمرء مسلم إلا في إحدى ثلاث : رجل زنى وهو محصن فرجم ، أو رجل قتل نفساً بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه . فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام ، ولا قتلت نفساً مسلمة ، ولا ارتددت منذ أسلمت [١] .

وما قالته هند زوجة أبي سفيان رضي الله عنهما حين قال لها النبي ﷺ وقت مبايعة النساء ... [ولا يزنين » قالت : يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة ؟ قال ﷺ : لا والله ما تزني الحرة ... » .

يعتبر الإسلام الزنا من أكبر الكبائر فجاء ترتيبه بعد الإشراك بالله وقتل النفس بغير الحق في قوله تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ [٢] .

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية : (دلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل بغير الحق ، ثم الزنا) [٣] .

ويقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى : (ليس بعد قتل النفس أعظم من الزنا) [٤] وفي آية أخرى قدم الله تعالى النهي عنه ، على النهي عن القتل حيث

---

(١) سنن ابن ماجه : ٨٤٧/٢ .
(٢) تفسير القرطبي : ٨٦/١٣ .
(٣) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٨-٦٩ .
(٤) نقلاً عن غذاء الألباب : ٤٣٥/٢ .

يقول عز من قائل : ﴿ ولا تقربوا الزنا ، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ (١) .

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية : لقائل أن يقول : إن أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل ، فما السبب في أن الله تعالى بدأ أولاً بذكر النهي عن الزنا وثانياً بذكر النهي عن القتل) ؟

وجوابه : أن فتح باب الزنا يمنع من دخول الإنسان في الوجود ، والقتل عبارة عن إبطال الإنسان بعد دخوله في الوجود ، ودخوله في الوجود يقدم على إبطاله وإعدامه بعد وجوده فلهذا السبب ذكر الله الزنا أولاً ، ثم ذكر القتل ثانياً (٢) .

ومما يدل على شناعة الزنا إنه يؤثر تأثيراً سيئاً في مرتكبه ، فيخرج منه الإيمان وقت ارتكابه جريمة الزنا كما أنه لا تستجاب دعوته .

أما خروج الإيمان عن الزاني ، فقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يقتل وهو مؤمن » . قال عكرمة : قلت لابن عباس رضي الله عنهما كيف ينزع الإيمان منه ؟ قال : هكذا - وشبك بين أصابعه ثم أخرجها فإن تاب عاد إليها هكذا وشبك بين أصابعه » (٣) .

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : (٣٢ - ٣٣) .
(٢) التفسير الكبير ج٢٠/ ص ١٩٩ طبع مطبعة الهيئة المصرية سنة ١٣٧٥هـ .
(٣) صحيح البخاري : (١٢/ ١١٤) .

وأما عدم استجابة دعوته ، فروى عثمان ابن أبي العاص رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عزّ وجلّ إلا زانية تسعى بفرجها أو عَشَاراً » [1] .

* * * * * *

(1) رواه أحمد والطبراني نقلاً عن الترغيب والترهيب - ٤/٥٠ - مع تحقيق مصطفى محمد عمارة . عشاراً : هو صاحب المكس الذي يأخذ ضريبة على أموال الناس ظلماً .

البحث الثالث

قال الله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ .

هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة ، أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك ، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زان أي عاص بزناه (أو مشرك) لا يعتقد تحريمه . . .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك [1] .

وقوله تعالى : وحرم ذلك ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ أي تعاطيه والتزوج بالبغايا أو تزويج العفائف بالرجل الفاجر ، وقال أبو داود الطيالسي عن ابن عباس : ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ قال : حرم الله الزنا على المؤمنين ، وقال قتادة ومقاتل ابن حبان : حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ﴾ وقوله : ﴿ محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ﴾ .

ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف

(١) هذا إسناد صحيح عن ابن عباس وقد روى نحو ذلك عن مجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم .

على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب .

فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا . وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة . لقوله تعالى : ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ .

عن عبدالله بن عمر قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح ، فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها ، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [1] .

وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد ، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة ، قال : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها (عناق) وكانت صديقة له ، وأنه واعد رجلاً من أسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط ، فلما انتهت إليّ عرفتني ، فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد ، فقالت : مرحباً وأهلاً ، هلمّ فبت عندنا الليلة ، قال ، فقلت : يا عناق حرم الله الزنا .

فقالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة ، فانتهيت إلى غار أو كهف ، فدخلت فيه فجاءوا حتى قاموا

---

(١) رواه النسائي والإمام أحمد .

على رأسي ، فبالوا ، فظل بولهم على رأسي ، فأعماهم الله عني ، قال : ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته ، وكان ثقيلاً حتى انتهيت إلى الأذخر ، ففككت عنه أحبلة ، فجعلت أحمله ويعينني حتى أتيت به المدينة ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أنكح عناقاً مرتين ؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد عليَّ شيئاً حتى نزلت : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ . فقال رسول الله ﷺ : يا مرثد : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، فلا تنكحها) [1] .

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية هذا بيان لرذيلة الزنا ، وأنه يدنس عرض صاحبه وعرض من قارنه ومازجه ، مالم يفعله بقية الذنوب [2] .

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى : فهي فعلة تعزل فاعلها عن الجماعة المسلمة وتقطع ما بينه وبينها من روابط ، وهذه وحدها عقوبة اجتماعية أليمة كعقوبة الحد أو أشد وقعاً) [3] .

ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى تحريم نكاح الزاني من امرأة عفيفة،

(١) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود واللفظ للترمذي .
(٢) تفسير كلام المنان : (٥/٣٨٩) .
(٣) تفسير - ظلال القرآن : (٤/٢٤٨٨) .

ونكـاح العفيف من زانية إلا أن تقع التوبـة [1] ويقول الشيخ ناصر الدين المالكي في تفسير هذه الآية : (الغرض من الآية تنفير المؤمنين من الذكور والإناث من مناكحة الزناة ، ذكوراً وإناثاً ، زجراً لهم عن الفاحشة ، ولذلك قرن الزنا والشرك [2] .

* * * * * *

(١) المغني (ج ٦/ص ٦٠١ - ٦٠٢) .

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال على حاشية الكشاف (ج٣ ص ٤٩) .

تنبيهات

١- أجمع العلماء : على أن الرجم لا يكون إلا على من زنى وهو محصن ، ومعنى الأحصان : أن يكون قد جامع في عمره ، ولو مرة واحدة في نكاح صحيح ، وهو بالغ عاقل حر ، والرجل والمرأة في هذا سواء . وكذلك المسلم والكافر ، والرشيد ، المحجور عليه لسفه ، والدليل على أن الكافر إذا كان محصنا يرجم للحديث الصحيح الذي ثبت فيه (أن النبي ﷺ رجم يهوديين زنيا بعد الأحصان » وقصة رجمهما مشهورة مع صحتها كما هو معلوم .

٢- أجمع أهل العلم على أن من زنى ، وهو محصن يرجم ، ولم نعلم بأحد من أهل القبلة خالف في رجم الزاني المحصن ، ذكوراً كان أو إناثاً .

إلا ما حكاه القاضي عياض وغيره عن الخوارج ، وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه . فإنهم لم يقولوا بالرجم وبطلان مذهب من ذكر من الخوارج وبعض المعتزلة واضح من النصوص الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

٣- أجمع العلماء على أن الزاني ذكراً كان أو أنثى ، إذا قامت عليه البينة ، أنهم رأوه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة : أنه يجب رجمه إذا كان محصنا ، وأجمع العلماء أن البينة لا تقبل أقل من أربعة عدول ذكوراً ، فإن شهد ثلاثة عدول ، لم تقبل شهادتهم وحدوا ، لأنهم قذفة.

ويقول جلّ وعلا : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ الآية . وكلتا الآيتين المذكورتين صريحة في أن الشهود في الزنى ، لا يجوز أن يكونوا أقل من أربعة .

وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ .

٤- اعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في اشتراط اتحاد المجلس لشهادة شهود الزنا ، وعلى اشتراط ذلك لو شهدوا في مجلسين أو مجالس متفرقة ، بطلت شهادتهم ، وحدوا حد القذف . وعلى عدم اشتراط اتحاد المجلس تصح شهادتهم ولو جاءوا متفرقين ، وأدوا شهادتهم في مجالس متعددة ، وممن قال باشتراط اتحاد المجلس مالك وأصحابه وأبوحنيفة وأصحابه وأحمد وأصحابه . وممن قال بعدم اشتراط اتحاد المجلس : الشافعي ، وعثمان البُتي ، وابن المنذر .

٥- اعلم أنه إذا شهدا اثنان : أنه زنى بها في هذا البيت ، واثنان أنه زنى بها في بيت آخر ، أو شهد كل اثنين عليه بالزنى في بلد غير البلد الذي شهد عليه فيه صاحباهما ، أو اختلفوا في اليوم الذي وقع فيه الزنى : فقد اختلف أهل العلم هل تقبل شهادتهم نظراً إلى أنهم أربعة شهدوا بالزنى ، أو لا تقبل ، لأنه لم تشهد أربعة على زنى واحد ، فكل زنى شهد عليه اثنان ، ولا يثبت زنى باثنين ؟

قال ابن قدامة في المغني : الجميع قذفه وعليهم الحدّ ، وبهذا قال مالك،

والشافعي ، واختار أبو بكر أنه لا حدّ عليهم ، وبه قال النخعي وأبو ثور، وأصحاب الرأي ، لأنهم كملوا أربعة . فأما المشهود عليه فلا حد عليه في قولهم جميعاً ، وقال أبو بكر : عليه الحدّ. وحكاه قولا لأحمد، وهذا بعيد ، فإنه زنى واحد لم يثبت بشهادة أربعة فلم يجب الحد.

٦- إن شهد اثنان أنه زنى بها في قميص أبيض ، وشهد اثنان أنه زنى بها في قميص أحمر .. وهكذا .

اختلف أهل العلم هل تكمل شهادتهم أم لا ؟ فقال بعضهم لا تكمل شهادتهم ، لأن كل اثنين منهما تخالف شهادتهما شهادة الاثنين الآخرين ، وممن قال بهذا الشافعي .

وقال بعضهم تكمل شهادتهم قائلاً : إنه لا تنافي بين الشهادتين ، لإمكان أن يكون عليه قميصان فذكر كل اثنين أحد القميصين ، وتركا ذكر الآخر ، فيكون الجميع صادقين ، لأن أحد الثوبين الذي سكت عنه هذان هو الذي ذكره ذالك كعكسة فلا تنافي ، ويمكن أن يكون عليها هي قميص أحمر ، وعليه هو قميص أبيض فيمكن صدق الجميع ، وإذا أمكن صدقهم فلا وجه لرد شهادتهم ، وبهذا جزم صاحب المغني .

٧- إن شهد اثنان أنه زنى بها مكرهة ، وشهد اثنان أنه زنى بها مطاوعة ، فلا حدّ على المرآة إجماعها ، لأن الشهادة عليها لم تكمل على فعل موجب للحد ، وإنما الخلاف في حكم الرجل والشهود .

قال ابن قدامة في المغني : وفي الرجل وجهان : أحدهما : لا حدّ عليه،

وهو قول أبي بكر ، والقاضي وأكثر الأصحاب .

والثاني : قول أبي حنيفة ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي ، لأن البينة لم تكمل على فعل واحد ، فإن المطاوعة غير المكرهة ، ولم يتم العدد على كل واحد من الفعلين ، ولأن كل شاهدين منهما يكذبان الآخرين ، وذلك يمنع قبول الشهادة ، أو يكون شبهة في درء الحد ، ولا يخرج عن أن يكون قول واحد منهما مكذباً للآخر إلا بتقدير فعلين تكون مطاوعة في أحدهما ، مكرهة في الآخر .

وهذا يمنع كون الشهادة كاملة على فعل واحد ، ولأن شاهدي المطاوعة قاذفان لها ، ولا تكمل البينة عليها ، فلا تقبل شهادتهما على غيرها .

والوجه الثاني : أنه يجب عليه الحد ..

اختاره أبو الخطاب ، وهو قول أبي يوسف ومحمد ، ووجه ثان للشافعي، لأن الشهادة كملت على وجود الزنى منه ، واختلافهما إنما في فعلها لا في فعله ، فلا يمنع كمال الشهادة عليه .

وفي الشهود ثلاثة أوجه :-

أحدها : لا حد عليهم ، وهو قول من أوجب الحد على الرجل بشهادتهم .

والثاني : عليهم الحدّ ، لأنهم شهدوا بالزنا ولم تكمل شهادتهم فلزمهم الحد كما لو لم يكمل عددهم .

الثالث : يجب الحد على شاهدي المطاوعة ، لأنهما قذفا المرأة بالزنا ، ولم تكمل شهادتهم عليها ، ولا تجب على شاهدي الاكراه لأنهما لم يقذفا المرأة ، وقد كملت شهادتهم على الرجل وإنما انتفى عنه الحد للشبهة .

٨- اعلم أنه إن شهد أربعة عدول على امرأة أنها زنت وتمت شهادتهم على الوجه المطلوب ، فقالت إنها عذراء لم تُزل بكارتها ، ونظر إليها أربع من النساء معروفات بالعدالة وشهدن بأنها عذراء لم تزل بكارتها بمزيل : فقد اختلف أهل العلم ، هل تدرء شهادة النساء عنها الحدّ أم لا ؟ .

فذهب مالك وأصحابه إلى أنها يقام عليها الحدّ ولا يلتفت لشهادة النساء وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن شهادة النساء ببكارتها تدرأ عنها الحدّ وهو مذهب الإمام أحمد ، قال ابن قدامة في المغني : وبه قال الشعبي ، والثوري ، والشافعي ، وأبو ثور ، وأصحاب الرأي .

ووجه قول مالك وأصحابه بأنها يقام عليها الحدّ ، هو أن الشهادة على زناها ، تمت بأربعة عدول ، وأن شهادة النساء لا مدخل لها في الحدود فلا تسقط بشهادتهن شهادة الرجال عليها بالزنى .

ووجه قول الآخرين بأنها لا تحدّ ، هو أن بكارتها ثبتت بشهادة النساء ، ووجود البكارة مانع من الزنا ظاهر ، لأن الزنا لا يحصل بدون الإيلاج في الفرج ولا يتصور مع بقاء البكارة ، لأن البكر هي التي لم توطأ في قبلها ، وإذا انتفى الزنى لم يجب الحدّ .

٩- رغّب الإسلام في النكاح لما له من دور كبير في الإعفاف ، لكن إذا رأى

الرجل نفسه غير قادر على مؤنة النكاح ، فعليه أن يمتثل ما أرشده إليه النبي ﷺ فيصوم ، لما في الصوم من تأثير قوي في تخفيف الشهوة فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كنا مع النبي ﷺ شباباً ، لا نجد شيئاً ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث : (في الحديث إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم ، لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل ، تقوى بقوته وتضعف بضعفه) [(١)] ويقول الأمير الصنعاني في شرح الحديث (فعليه بالصوم) اغراء بلزوم الصوم ، وإنما جعل الصوم وجاء لأنه بتقليل الطعام والشراب يحصل للنفس انكسار عن الشهوة، ولسر جعله الله في الصوم . فلا يكفي تقليل الطعام وحده من دون صوم [(٢)] .

١٠- هل يجوز المعالجة لتسكين الشهوة ؟

يتفرع على الحديث المذكور سابقاً سؤال ، هل يجوز المعالجة لقطع الشهوة أو لتسكينها ؟

---

(١) فتح الباري الجزء (ج٩/ص ١١١) .
(٢) نقلاً عن سبل السلام الجزء (ج٣/ص ١٠٩) بالإختصار .

يقول الحافظ ابن حجر : (استدل بالحديث الخطابي على جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية ، وحكاه البغوي في شرح السنة . ثم يقول الحافظ ابن حجر : (وينبغي أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دون ما يقطعها إصالة ، لأنه قد يقدر عليه بعد فيندم لفوات ذلك في حقه . وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه . والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجب والخصاء فيلحق بذلك ما في معناه من التداوي بالقطع ونحوه [1] .

* * * * * *

(١) انظر فتح الباري : (ج٩/ص١١١) .

البحث الرابع

قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلو لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ☆ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) .

بعد بيان حكم الزناة ، بين حكم القذف فقال : ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة ، فإن عليه أن يحضر شهود أربعة ، يشهدون أمام الحاكم على صحة مارمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية : وهو جلدة ثمانين جلدة على ظهره ، وتسقط عدالته حتى يتوب .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى - هذه الآية الكريمة : فيها بيان جلد القاذف لمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة ، فإذا كان المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً : وليس فيه نزاع بين العلماء ، فإن أقام القاذف بينه على صحة ما قاله درأ عنه الحدّ .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ .

فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام : أحدها : أن يجلد ثمانين جلدة .

الثاني : أن ترد شهادته أبداً .

الثالث : أن يكون فاسقاً ليس بعدل عند الله ولا عند الناس .

قوله تعالى في هذه الآية : ﴿ يرمون ﴾ معناه : يقذفون المحصنات بالزنا صريحاً ، أو ما يستلزم الزنا كنفي نسب ولد المحصنة عن أبيه ، لأنه إن كان من غير أبيه كان من زنا ، وهذا القذف هو الذي أوجب الله تعالى ثلاثة أحكام كما سبق ذكره قريباً :

١- جلدة القاذف ثمانين جلدة .

٢- عدم قبول شهادته .

٣- الحكم عليه بالفسق .

مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة :

المسألة الأولى :

إن الآية الكريمة إنما نصت على قذف الذكور للإناث خاصة ، لأن ذلك هو صريح قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ .

وقد أجمع جميع المسلمين على أن قذف الذكور للذكور ، والإناث للإناث، أو الإناث للذكور ، لا فرق بينه وبين ما نصت عليه الآية الكريمة ، من قذف الذكور للإناث ، للجزم بنفي الفارق بين الجميع .

المسألة الثانية :

اعلم أن المقرر في أصول المالكية والشافعية والحنابلة - أن الاستثناء إذا جاء بعد جمل متعاطفات ، أو مفردات ، أنه يرجع لجميعها ، إلا لدليل من نقل أو عقل يخصصه ببعضها . خلافاً لأبي حنيفة القائل : برجوع الاستثناء للجملة الأخيرة فقط . ولذا لو قال إنسان : هذه الدار وقف على الفقراء والمساكين ، وبني زهرة ، وبني تميم إلا الفاسق منهم : فإنه يخرج من الوقف الفاسق من الجميع لرجوع الاسثناء للجميع .

خلافاً لأبي حنيفة القائل : برجوعه للأخيرة ، فلا يخرج عنده إلا الفاسق الأخيرة فقط .

المسألة الثالثة :

اعلم أن من قذف إنساناً بغير الزنا أو نفي النسب : كأن يقول له : يا فاسق ، أو يا آكل الربى ، ونحو ذلك من أنواع السبّ ، يلزمه التعزير ، وذلك بما يراه الإمام رادعاً له ، ولأمثاله من العقوبة من غير تحديد بشيء في ذلك من جهة الشرع .

وقال بعض أهل العلم : لا يبلغ بالتعزير قدر الحدّ .

وقال بعض العلماء : إن التعزير بحسب اجتهاد الإمام فيما يراه رادعاً مطلقاً . والله أعلم .

المسألة الرابعة :

اعلم أن جمهور العلماء أجمعوا على أن العبد إذا قذف حراً يجلد أربعين ، لأنه حد يتشطر بالرق كحد الزنى .

قال القرطبي : روي عن ابن مسعود وعمر بن عبدالعزيز وقبيصة بن ذؤيب : يجلد ثمانين ، وجلد أبو بكر بن محمد عبدا قذف حراً ثمانين ، وبه قال الأوزاعي ، واحتج الجمهور بقوله تعالى : ﴿ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ .

وقال شيخنا العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى : (أظهر القولين عندي دليلاً أن العبد إذا قذف حراً يجلد ثمانين ، لا أربعين ، وإن كان هذا مخالفاً لجمهور أهل العلم ، وإنما استظهرنا جلدة ثمانين لا أربعين ، لأن العبد داخل في عموم :

﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ ولا يمكن إخراجه من هذا العموم ، إلا بدليل ولم يرد دليل يخرج العبد من هذا العموم لا من كتاب ولا من سنة ، ولا من قياس ، وإنما ورد النص على تشطير الحد عن الأمة في حد الزنى ، وألحق العلماء بها العبد بجامع الرق ، والزنى غير القذف [(١)] .

المسألة الخامسة :

اعلم أن العلماء أجمعوا على أنه إذا صرح في قذفه له بالزنى كان قذفاً

---

(١) انظر أضواء البيان : (ج٦/ص ٩٢) .

ورمياً موجباً للحد ، وأما إن عرض ولم يصرح بالقذف ، وكان تعرضه يفهم منه بالقرائن أنه يقصد قذفه ، كقوله : أما أنا فلست بزاني ولا أمي بزانية ، أو ما أنت بزان ، ما يعرفك الناس بالزاني ، أو يا حلال بن الحلال أو نحو ذلك .

فقد اختلف اهل العلم : هل يلزم حد القذف بالتعريض المفهم للقذف ، وإن لم يصرح أولا يحدّ حتى يصرح بالقذف تصريحاً واضحاً لا احتمال فيه .

٢- فذهب جماعة من أهل العلم إلى أن التعريض لا يوجب الحد ولو فهم منه إرادة القذف ، إلا أن يقرّ ، أنه أراد به القذف .

قال ابن قدامة في المغني : وهذا القول هو رواية حنبل عن الإمام أحمد وهو ظاهر الخرقي ، واختيار أبي بكر ، وبه قال عطاء ، وعمرو بن دينار ، وقتادة، والثوري ، والشافعي ، وأبو ثور ، وأصحاب الرأي ، وابن المنذر ، وأحتج أهل هذا القول بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ ، ففرق تعالى بين التصريح للمعتدة ، والتعريض قالوا : ولم يفرق بينهما في كتابه .

وأما السنة فالحديث المتفق عليه في الرجل الذي جاء النبي ﷺ وقال له: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، وهو تعريض بنفيه ، ولم يجعل النبي ﷺ هذا قذفاً ، ولم يدعهما للعان بل قال للرجل (ألك إبل ؟ قال نعم : قال فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقاً ، قال : ومن أين جاءها ذلك ؟ قال لعل عرقاً نزعه قال : وهذا الغلام الأسود لعل عرقاً نزعه) .

قالوا : ولأن التعريض محتمل لمعنى آخر غير القذف وكل كلام يحتمل معنيين لم يكن قذفاً هذا هو حاصل حجة من قالوا : بأن التعريض بالقذف ، لا يجب الحدّ ، وإنما يجب الحد بالتصريح بالقذف .

وذهبت جماعة آخرون من أهل العلم : إلى أن التعريض بالقذف يوجب الحدّ وهو مذهب مالك وأصحابه ، وقال ابن قدامة في المغني : وروى الأشرم وغيره عن الإمام أحمد أن عليه الحدّ ، يعني المعرض بالقذف ، قال : وروى ذلك عن عمر رضي الله عنه ، وبه قال إسحاق إلى أن قال : وقال معمر : إن عمر كان يجلد الحد في التعريض . واحتج أهل هذا القول بأدلة منها ما ذكره القرطبي قال : والدليل لما قاله مالك : هو أن موضوع الحد في القذف ، إنما هو لإزالة المعرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف ، وإذا حصلت المعرة بالتعريض ، وجب أن يكون قذفاً .

كالتصريح والمعول على الفهم ، وقد قال تعالى مخبراً عن قوم شعيب أنهم قالوا : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ أي السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في أحد التأويلات ، وقال تعالى في الذين قذفوا مريم : إنهم قالوا :

﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ﴾ فمدحوا أباها ، ونفوا عن أمها البغاء : أي الزنى وعرضوا لمريم بذلك وقال تعالى في أبي جهل : ﴿ ذق أنك أنت العزيز الكريم ﴾ .

وحاصل كلام القرطبي المذكور : أن من أدلة القائلين بوجوب الحدّ بالتعريض آيات قرآنية ، وبين وجه دلالتها على ذلك كما رايته ، وذكر أن من

أدلتهم أن المعرة اللاحقة للمقذوف ، صريحاً تلحقه بالتعريض له بالقذف ، وذلك يلزم مساواتهما ، وذكر أن من أدلتهم أن المعول على الفهم ، والتعريض يفهم منه القذف فيلزم أن يكون كالصريح . ومن أدلتهم على أن التعريض يجب به الحدّ ، بعض الآثار المروية عن بعض الخلفاء الراشدين : قال ابن قدامة في المغني لأن عمر رضي الله عنه حين شاورهم في الذي قال لصاحبه : ما أنا بزان ولا أمي بزانية : فقالوا : قد مدح نفسه وأمه ، فقال عمر : قد عرض بصاحبه وجلده الحدّ .

المسألة السادسة :

قال القرطبي : إن تمت الشهادة على الزاني بالزنا ولكن الشهود لم يعدلوا ، فكان الحسن البصري والشعبي يريان ألا حد على الشهود ولا على المشهود عليه ، وبه قال أحمد ، والنعمان ، ومحمد بن الحسن .

وقال مالك : وإذا شهد عليه أربعة بالزنا وكان أحدهم مسخوطاً عليه أو عبداً يجلدون جميعاً .

وقال سفيان الثوري ، وأحمد وإسحاق في أربعة عميان يشهدون على امرأة بالزنا ، يضربون .

المسألة السابعة :

قال القرطبي : قال مالك والشافعي ، من قذف من يحسبه عبداً فإذا هو حر فعليه الحدّ ، وقاله الحسن البصري ، واختاره بن المنذر . ومن قذف أم الولد حدّ ، وروى عن ابن عمر ، وهو قياس قول الشافعي ، وقال الحسن

البصري : لا حدّ عليه . أ . هـ .

المسألة الثامنة :

اعلم أنه لا يجوز رمي الملاعنة بالزنا ، ولا رمي ولدها بأنه ابن زنى ، ومن رمى أحدهما فعليه الحدّ ، وهذا لا ينبغي أن يختلف فيه ، لأنه لم يثبت عليها زنى ، ولا على ولدها أنه ابن زنى ، وإنما انتفى نسبه عن الزوج بلعانه .

المسألة التاسعة :

في حكم ما لو قال لرجل يا زانية بتاء الفرق ، أو قال لامرأة يا زاني بلاتاء. قال ابن قدامة في المغني : هو قذف صريح لكل منهما قال : واختار هذا أبو بكر ، وهو مذهب الشافعي . واختار ابن حامد أنه ليس بقذف إلا أن يفسره به ، وهو قول أبي حنيفة .

المسألة العاشرة :

في أحكام كلمات متفرقة ، كمن قال الرجل يا ديوث ، أو يا معفوج ، أو يا مخنث أو يا قواد ، أو يا ابن منزلة الركبان ، أو قال لامرأة يا قحبة ، يا قوادة ، يا سفاحة ، ونحو ذلك .

اعلم أن أهل العلم اختلفوا في هذه العبارات المذكورة ، فذهب مالك : هو أن من قال لرجل بعض هذه الكلمات لزمه حد القذف ، وكذلك من قال لامرأة : يا قحبة لزمه الحدّ عند المالكية .

المسألة الحادية عشر :

في حكم من قذف ولده : وقد اختلف أهل العلم في ذلك . قال في المغني : وإذا قذف ولده وإن نزل لم يجب الحدّ عليه ، سواء كان القاذف رجلاً أو امرأة ، وبهذا قال عطاء ، والحسن ، والشافعي ، وأصحاب الرأي . وقال مالك ، وعمر بن عبدالعزيز ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، عليه الحدّ لعموم الآية ، ولأنه حد فلا تمنع من وجوبه قرابة الولادة كالزنا . وأظهر القولين دليلاً : أنه لا يحدّ الوالد لولده لعموم قوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ وقوله ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ . فلا ينبغي للولد أن يطلب حدّ والده للتشفى منه .

وقول المالكية في هذه المسألة في غاية الاشكال لأنهم يقولون : - إن الولد يمكن من حدّ والده القاذف له وأنه يعد بحده فاسقاً بالعقوق كما قال الخليل في مختصره وله حد أبيه ، وفسق ، ومعلوم أن الفسق لا يكون إلا بارتكاب كبيرة ، والشرع لا يمكن أحداً من ارتكاب كبيرة .

كما ترى مع أن الروايات عن مالك نفسه ظاهرها عدم الحد ، وقاله غير واحد من أهل مذهبه .

تشديد عقوبة القذف بالزنا :

ومما يدل كذلك على شناعة جريمة الزنا ، أن الإسلام شدد عقوبة القذف بالزنا حيث يقول الله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ . فشدد الله تعالى في عقوبة القذف . قريبة من عقوبة زنا غير

المحصن ، ثمانين جلدة ، مع إسقاط الشهادة ، والوصم بالفسق .. والعقوبة الأولى جسدية ، والثانية أدبية ، والثالثة دينية [1] .

* * * * * *

(١) نقلاً بالاختصار عن التفسير في ظلال القرآن : (ج٦/ص٦٣) .

البحث الخامس

قال الله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ﴾ بعد بيان حد القذف العام ، ذكر تعالى : حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى : ﴿والذين يرمون أزواجهم ﴾ أي بالفاحشة : ﴿ ولم يكن لهم شهداء ﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع شهادات قائلاً : أشهد بالله لقد رأيتها تزني ، أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ، ويلتعن فيقول في الخامسة : ﴿ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ . أي فيما رمى به زوجته .

وهنا يعرض على الزوجة أن تقر ، بما رماها به زوجها ويقام عليها الحدّ، وهو هنا الرجم ، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها ما زنت ، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله .

فتقول ﴿ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ فيما رماها به ، وبذلك درأت عنها العذاب الذي هو الحدّ ، ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً .

وقوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ جواب لولا ، محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين - ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم . وقد وردت روايات صحيحة في سبب نزول هذا الحكم : روى الإمام أحمد - بإسناده عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة . ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ . قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار رضي الله عنه أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ فقالوا يا رسول الله لا تلمه ، فإنه رجل غيور ، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته .. فقال سعد : والله يا رسول الله إني لأعلم أنها لحق ، وأنها من الله ، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته . قال : فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية ، فجاء من أرضه عشاء ، فوجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً ، فرأيت بعيني وسمعت بأذني .. فكره رسول الله ﷺ ما جاء به ، واشتد عليه ، واجتمعت عليه الأنصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة ، إلا أن يضرب رسول الله ﷺ - هلال بن أمية ، ويبطل شهادته في الناس . فقال هلال : والله إني لأرجو أن يجعل الله منها مخرجاً . وقال هلال : يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك

مما جئت به ، والله يعلم إني لصادق .. فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذا أنزل الله على رسول الله ﷺ الوحي عرفوا ذلك في تريد وجهه . يعني فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله . ﴾ .

فسري عن رسول الله ﷺ فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك مخرجاً .. فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربي عزّ وجلّ فقال رسول الله ﷺ : «أرسلوا إليها » فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله ﷺ عليهما ، فذكرهما ، وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ، فقال هلال : والله يا رسول الله لقد صدقت عليها فقالت كذب : فقال رسول الله ﷺ « لاعنوا بينهما » .. فقيل لهلال : أشهد . فشهد أربع مرات بالله إنه لمن الصادقين ، فلما كان الخامسة قيل له : يا هلال اتق الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة ، التي توجب عليك العذاب فقال : والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها ، فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل للمرأة : أشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة : اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليكِ العذاب ، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ، ثم قالت: والله لا أفضح قومي ، فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ففرق رسول الله ﷺ بينهما ، وقضى أن لا يدعى ولدها لأب، ولا يرمى ولدها ، ومن رمى ولدها فعليه الحدّ . وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها ، من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ، ولا متوفى عنها . وقال :

(وإن جاءت به أصيهب [1] أريسح [2] حمش الساقين [3] فهو لهلال . وإن جاءت به ، أورق (٤) جعد [5] جمالياً [6] خدلج الساقين [7] سابغ الأليتين [8] فهو للذي رميت به . فجاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين . فقال رسول الله ﷺ لولا الأيمان لكان لي ولها شأن .

وهكذا جاء هذا التشريع لمواجهة واقعة بالفعل ، وعلاج موقف صعب على صاحبه وعلى المسلمين ، قد اشتد على رسول الله ﷺ ولم يجدمنه مخرجاً حتى طفق يقول لهلال بن أمية - كما روى البخاري - البينة أو حد في ظهرك) . وهلال يقول : يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ .

وهذه الآية تدل على أن الزوج إذا رمى زوجته وشهد شهاداته الخمس المبينة في الآية أن المرأة يتوجه عليها الحدّ بشهاداته ، وأن ذلك الحد المتوجه إليها بشهادات ، الزوج تدفعه عنها شهاداتها هي الموضحة في الآية .

ومفهوم مخالفة الآية يدل على أنها لو نكلت عن شهاداتها لزمها الحدّ

---

(١) أصيهب : تصغير أصهب وهو الذي في شعره حمرة .
(٢) أريسح : تصغير أرسح وهو خفيف لحم الأليتين .
(٣) حمش الساقين : دقيقهما .
(٤) أورق : أسمر .
(٥) جعداً : وهو الذي شعره غير سبط .
(٦) الجمالي : الضخم الأعضاء التام الأوصال .
(٧) خدلج الساقين : عظيمهما .
(٨) سابغ الأليتين : تامهما عظيمهما .

بسبب نكولها مع شهادات الزوج ، القاذف هذا هو الظاهر الذي لا ينبغي العدول عنه ، فشهادات الزوج القذف تدرأ عنه هو الحدّ ، وتوجه إليها هي حد الزنى ، وتدفعه عنها شهاداتها .

تشديد عقوبة القذف منعاً لإشاعة الفاحشة :

يظهر اهتمام الشريعة الإسلامية بمنع إشاعة الأخبار الفاحشة . من تشديدها لعقوبة القذف : يقول الله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . ﴾ .

شدد الله في عقوبة القذف ، فبلغت ثمانين جلدة ، مع إسقاط شهادة القاذف ووصمه بالفسق ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن حد القذف يقام على كل من نسب ارتكاب الزنا إلى شخص آخر صادق كان أم كاذباً إذا لم يكن معه شهداء غيره يشهدون على صحة ما قال ، وإلى جانب هذا يستحق القاذف اللعنة في الدنيا والآخرة ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ . وكل هذا يدل على اهتمام الشريعة بمنع إشاعة الأخبار الفاحشة .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى - في بيان حكمة حدّ القذف : (ذلك أن اطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحجرة من ارتكاب الفعلية أن جو الجماعة كله ملوث ، وأن الفعلة فيها شائعة ، فيقدم عليها من كان يتحرج منها وتهون في حسه بشاعتها بكثرة تردادها .

وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها)[1] . وقد روى الإمام مالك عن أبي الزبير المكي : أن رجلاً خطب إلى رجل أخته ، فذكر أنها قد كانت أحدثت[2] فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فضربه أو كاد يضربه ثم قال : مالك وللخبر ،يقول الحافظ أبو الوليد الباجي في شرح الحديث : فيجب على الولي ستره عليها ، لأن الفواحش يجب علىالإنسان سترها على نفسه وعلى غيره[3] .

* * * * * *

(١) تفسير في ظلال القرآن الكريم (ج٦- ص ٦٣) .

(٢) أحدثت : أي زنت .

(٣) شرح الزرقاني : (ج٣ - ص ١٦٤) .

وخلاصة القول أن الشريعة الإسلامية بتحريمها إشاعة الأخبار الفاحشة وتشديدها عقوبة القذف سدت بابا من شأنه أن يفضي إلى ارتكاب الفاحشة نفسها .

اقتباس أحكام النور - من آيات سورة النور :

١- بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة ، وتغريب عام - وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين ، أو جلد خمسين جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين .

٢- وجوب إقامة هذا الحدّ أمام طائفة من المؤمنين .

٣- لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته ، ولا الزانية إلا بعد توبتها .

٤- بيان حدّ القذف ، وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً - أي لم يعرف بالفاحشة قبل رمية بها .

٥- سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته إذا تاب .

٦- قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً .

٧- بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهداء يشهدون معه على ما رمي به زوجته ، وهو اللعان .

٨- بيان كيفية اللعان ، وأنه موجب لإقامته الحدّ ، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات ، والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ .

٩- في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي

وكماله ونوره ، وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية ونورها الكامل في التشريعات .

١٠- تحريم إشاعة الفاحشة : من المعروف أنه إذا كثر ذكر المنكرات اشتاقت النفوس الضعيفة إلى إتيانها ، لأن ذكرها دون الرد عليها يتضمن الدعوة إلى ارتكابها ، ففي إشاعة الفاحشة دعوة إلى إتيان الفاحشة ، لهذا حرم الله تعالى إشاعة الأخبار بالفاحشة ، وبهذا سد بابا من الأبواب المفضية إلى الفاحشة ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

* * * * * *

القسم الثاني - من الآيات (١١-٢٠)

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ﴾ .

البحث السادس

أ- هذه الآيات العشر كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين ، بما قالوه من الكذب البحت ، والفرية التي غار الله عزّ وجلّ لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ .

ب- تعريف الإفك : هو الكذب المقلوب - وهو أسوأ الكذب .

ج- بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ، ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عداً إذ طائفة الشيعة والروافض إلى الآن يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم ، إذ ورث فيهم رؤساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وامته جزء كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتقريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام ، وأوردهم النار باسم الخوف من النار ..

فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة ، وأهانوا أباها وأرادوا أن يلوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجه إلى الفاحشة [1] .

د- هذا الحادث : حادث الإفك قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق ، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق

---

(١) أيسر التفاسير : (ج ٣ / ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

التجارب في تاريخها الطويل .

وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة التي يحبها : وقلب أبي بكر الصديق وزوجه ، وقلب صفوان بن المعطل ، شهراً كاملاً ، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق .

هـ- فلندع عائشة - رضي الله عنها - تروي قصة هذا الألم ، وتكشف عن سر هذه الآيات الكريمات :-

عن الزهري عن عروة وغيره عن عائشة رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهنّ خرج سهمها خرجت معه ، وأنه أقرع بيننا في غزاة [1] فخرج سهمي ، فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودج وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ - من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني ، فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيري ، وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم ، وإنما نأكل العلقة [2] من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه خفة الهودج ،

(١) غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة على الأرجح .
(٢) العلقة : كل ما يكتفي به العيش : أي لقيمات يقمنا به الصلب فقط بدون إكثار من الطعام أو الشبعة كما هو المعروف في عصرنا الحاضر .

فحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منزلهم ، وليس فيه أحد منهم فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا معرسين . قالت : فهلك في شأني من هلك . وكان الذي تولى الإثم : عبدالله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً ، والناس يفيضون في القول أصحاب الإفك ولا أشعر . وهو يريبني في وجعي أني لا أدري ، وكنت لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذلك الذي يريبني منه ، ولا أشعر بالشر حتى نقهت [1] فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصح وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً، وذلك قبل أن يتخذ الكنف ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فأقبلت أنا وأم مسطح ، وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - حين فرغنا من شأننا نمشي فعثرت أم مسطح في

---

(١) النقة : من مرضه - نقهاً ونقوهاً برئ ولا يزال به ضعف .

مرطها فقالت تعس مسطح ، فقلت لها : بئسما قلت ، أتسبين رجلاً شهدا بدراً ؟ فقالت يا هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ فقلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضا إلى مرضي . فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله ﷺ - فقال : كيف تيكم ؟ فقلت : إئذن لي أن آتي أبوي . وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي ، فأتيت أبوي ، فقلت لأمي : يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت : يا بنية هوني على نفسك الشأن وفوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فقلت : سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم . ثم أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ - علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما - حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة : هم أهلك يا رسول الله . ولا نعلم والله الا خيراً . وأما علي بن أبي طالب : فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تخبرك ، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة [1] فقال لها : أي بريرة ، هل رأيت فيها شيئاً يريبك ؟ فقالت : لا والذي بعثك بالحق نبياً إن رأيت منها أمراً أغمضه [2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها .

---

(١) حقق الإمام شمس الدين أبو عبدالله بن القيم أن الجارية التي سئلت لم تكن هي بريرة إنما كاتبت وعتقت بعد هذا بمدة طويلة ، فظن بعض الرواة أنها بريرة .

(٢) أغمضه : أعيبه .

فتأتي الداجن [1] فتأكله . قالت : فقام رسول الله ﷺ : من يومه - واستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول ، فقال وهو على المنبر : من يعذرني من رجل بالغني أذاه في أهلي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معيّ . قالت فقام سعدبن معاذ [2] رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرك منه : إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه - وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ولكن أخذته الحمية . فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على ذلك . فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت - لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . فثار الحيان - الأوس ، والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ . على المنبر ، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ونزل . وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوماً ، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ أستأذنت امرأة من الأنصار .

فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا

---

(١) الداجن : الشاة في البيت .

(٢) في رواية ابن اسحاق أن الذي قال هذا هو أسيد بن حضير ، وأن سعد بن معاذ كان قد توفى بعد غزوة بني قريضة قبل حديث الإفك .

رسول الله ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل .. وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء فتشهد حين جلس ، ثم قال : أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله تعالى عليه . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته . قلص دمعي حتى ما أحسّ منه بقطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال . قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، فقلت : إني والله أعلم أنكم سمعتم حديثاً تحدث الناس به ، واستقر في نفوسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني بذلك ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ ثم تحولت فاضجعت على فراشي ، وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة ، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى ، ولكن أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها . فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ - فأجده ما كان يأخذه من البرحاء ، فسري عنه ، وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي : يا عائشة أحمدي الله تعالى فإنه قد برأكِ فقالت لي أمي : قومي إلى

رسول الله ﷺ فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله تعالى ، هو الذي أنزل براءتي . فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ .. العشر آيات - فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعدما قال لعائشة رضي الله عنها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ والله غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجري عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، قالت عائشة رضي الله عنها : وكان رسول الله ﷺ - سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال : (يا زينب ما علمت وما رأيتي ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت عليها إلا خيراً . وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع فطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الأفك [1] .

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم ﴾ أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من : أم المؤمنين ، وصفوان ، بدل الرمي بالفاحشة القبيحة ، فقلبوا القضية ، فلذا كان كذبهم إفكاً . وقوله : ﴿ عصبة ﴾ أي جماعة لا يقل عادة عددهم على عشرة أنفار ، إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ،

(١) قال بن شهاب : فهذا ما أنتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط . أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث الزهري هكذا . وابن اسحاق عن الزهري .

ابن أبيٍّ ، وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر مات على كفره ونفاقه . ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها ، وحسان بن ثابت رضي الله عنه ...

قوله تعالى : ﴿ لا تحسبوه شراً لكم ﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ، ﴿ بل هو خير لكم ﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة ، وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى : ﴿ لكل امريء منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه . وقوله ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .. وهو عبدالله بن أبيٍّ بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله .

وقوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾ . هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عزّ وجلّ ﴿ لولا ﴾ أي هلا وهي للحظ والحث على فعل الشيء إذا سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة ، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين ، أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم فعلتم . وقوله تعالى : ﴿ ولولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ .

أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالإفك فإنهم لا يأتون بشاهد واحد فضلاً عن أربعة ، وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله . وقوله تعالى : ﴿ لولا فضل الله ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ . هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً

واضحاً ولوغكم في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم .

وقول تعالى : ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم ﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض : ﴿وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم ﴾ وهذا عتاب وتأديب ﴿ وتحسبونه هيناً ﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ، وهو عند الله عظيم ، كيف وهو يمس عرض رسول الله ﷺ وعائشة ، والصديق ، وآل البيت أجمعين .

وقوله تعالى : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ إذ هذه مما لا يصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه ، وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿ سبحانك﴾ أي يا رب : هذا أي الإفك ﴿ بهتان عظيم ﴾ .

بهتوا به أم المؤمنين ، وصفوان . وقوله : ﴿ يعظكم الله ﴾ أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة : ﴿ أن تعودوا لمثله أبداً ﴾ أي طول الحياة فإياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً . وقوله : ﴿ ويبين الله لكم الآيات ﴾ التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع من أمر ونهي .

أخي المسلم : حين يقرأ المؤمن قصة الإفك في كتاب الله وفي السنة المطهرة يقع هذا القارئ في همّ وغم وحزن ، وربما يبكي لبكاء عائشة رضي الله عنها - كيف وهي أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ ترمى بهذا البهتان ، وبهذا الإفك العظيم ولقد صور هذا الموقف والجو الخانق بالهموم والغموم والأحزان الشديدة كانت في شهر كامل : نعم لقد صور ذلك سيد قطب رحمه الله تعالى

إذ قال : - وهكذا عاش رسول الله ﷺ وأهل بيته وعاش أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأهل بيته ، وعاش صفوان بن المعطل ، وعاش المسلمون جميعاً، هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق ، وفي ظل تلك الآلام الهائلة ، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات .

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة . هاهي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها ، ونظافة تصوراتها ، هاهي ذي ترمي في أعزما تعتز به . ترمى في شرفها . وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع . وترمي في أمانتها، وهي زوج محمد بن عبدالله من ذرية بني هاشم ، وترمي في وفائها ، وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير .

ثم ترمي في إيمانها . وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة . وهي زوج رسول الله ﷺ . ها هي ذي ترمي وهي بريئة غارة غافلة ، لا تحتاط لشيء ، ولا تتوقع شيئاً ، فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله وتترقب أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا ، تبرئها مما رميت به. ولكن الوحي يتلبث لحكمة يريدها الله شهراً كاملاً ، وهي في مثل هذا العذاب . ويا لله لها وهي تفاجأ بالنبأ من أم مسطح . وهي مهدودة من المرض ، فتعاودها الحمى ، وهي تقول لأمها في أسى : سبحان الله ، وقد تحدث الناس بهذا ؟ وفي رواية أخرى تسأل : وقد علم به أبي ؟ فتجيب أمها : نعم ، فتقول رسول الله ﷺ ؟ فتجيبها أمها كذلك : نعم .

ويا لله لها ورسول الله ﷺ نبيها الذي تؤمن به ، ورجلها الذي تحبه ، يقول لها : (أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله

تعالى ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه) .

فتعلم أنه شاك فيها ، لا يستيقن من طهارتها ، ولا يقضي في تهمتها . وربه لم يخبره بعد ، ولم يكشف له براءتها التي تعلمها ولكن لا تملك إثباتها فتمسي وتصبح وهي متهمة في ذلك القلب الكبير الذي أحبها وأحلها في سويدائه . وها هو ذا أبو بكر الصديق - في وقاره وحساسيته وطيب نفسه - يلذعه الألم ، وهو يرمي في عرضه . في ابنته زوج محمد - صاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه ، ونبيه الذي يؤمن به ويصدقه تصديق القلب المتصل ، لا يطلب دليلاً من خارجه .. وإذا الألم يفيض على لسانه ، وهو الصابر المحتسب القوي على الألم فيقول : والله ما رمينا بهذا في جاهلية أفنرضى به في الإسلام ؟ وهي كلمة المرارة ما تحمل حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذبة : أجب عني رسول الله ﷺ - قال في مرارة هامدة : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

وأم رمان - زوج الصديق رضي الله عنهما - تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء . المريضة التي تبكي حتى تظن أن البكاء فالق كبدها . فتقول لها: يا بنية هوني على نفسك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها .. ولكن هذا التماسك يتزايل وعائشة تقول لها : أجيبي عني رسول الله ﷺ فتقول كما قال زوجها من قبل : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

والرجل المسلم الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله صفوان بن المعطل ، يرمي بخيانة نبيه في زوجه ، فيرمي بذلك في إسلامه ، وفي أمانته وفي شرفه ،

وفي حميته ، وفي كل ما يعتز به صحابي وهو من ذلك كله بريء . وهو يفاجأ بالاتهام الظالم ، وقلبه . بريء من تصوره فيقول : سبحان الله ، والله ما كشفت كتف أنثى قط .

ويعلم أن حسان بن ثابت يروج لهذا الإفك عنه ، فلا يملك نفسه أن يضربه بالسيف على رأسه تكاد تودي به . ودفعه إلى رفع سيفه على امرىء مسلم ، وهو منهي عنه ، أن الألم قد تجاوز طاقته ، فلم يملك زمام نفسه الجريح.

ثم ها هو رسول الله ﷺ ، وهو رسول الله ، وهو في ذروة من بني هاشم .. ها هو ذا يرمى في بيته ، وفي من ؟ في عائشة التي حلت من قلبه في مكان الابنة والزوجة والحبيبة ، وها هو ذا يرمى في طهارة فراشه ، وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة . وها هو ذا يرمى في حياطة ربه وهو الرسول المعصوم من كل سوء [1] .. انتهى باختصار .

* * * * * *

(١) انظر في ظلال القرآن المجلد : (٤/ص ٢٤٩٨ - ٢٤٩٩ - وما قبلها وما بعدها) .

اقتباس لأحكام النور ، من حديث الإفك والكذب المقلوب :-

١- بيان حكم الكذب وبشاعة الإفك وعظيم جرمه .

٢- قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير ونور له .

٣- العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة .

٤- واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة ، لأن ذلك يظلم القلب ويذهب بالنور منه وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك ، فإن قال لا ، قال له إذا أنت عند الله من الكاذبين.

٥- حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك .

٦- لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها : -

أ- وضع حدّ شرعي لها .

ب- منع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زاني إلا بعد التوبة .

ج- شهود عدد من المسلمين على إقامة الحد .

هـ- حدّ القذف .

د- ومنها اللعان بين الزوجين .

و- ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين .

ز- ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين .

فإن قيل : فما بال رسول الله توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده فيما يليق به وهلا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما قاله فضلاء الصحابة - ؟

فالجواب : أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها ، وامتحاناً وابتلاء لرسوله ﷺ : ولجميع الأمة إلى يوم القيامة . ليرفع بهذه القصة أقواماً ويضع آخرين ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . واقتضى تمام الامتحان والإبتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها . لا يوحى إليه في ذلك بشيء ليتم حكمته التي قدرها وقضاها ، ويظهر على أكمل الوجوه ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ويزداد المنافقين إفكاً ونفاقاً ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها . وتتم نعمة الله عليهم ، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبيها ، والأفتقار إلى الله ، والذل له ، وحسن الظن به ، والرجاء له ، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد الخلق .

ولهذا وفت لهذا المقام حقه ، لما قال لها أبوها : قومي إليه ، وقد أنزل الله تعالى عليه براءتها ، فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي . وأيضاً فكان من حكمة حبس الوحي شهراً ، أن القضية نضجة وتمخضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله تعالى إلى رسوله فيها .

وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع . فوافي الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته ، والصديق وأهله وأصحابه ، والمؤمنون . فورد عليهم ورود الغيث على الأرض ، أحوج ما كانت إليه ، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه ، وسروا به أتم السرور ، وحصل لهم به غاية الهناء ، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهله ، وأنزل الوحي على الفور بذلك ، لفاتت هذه الحكم وأضعافها ، بل أضعاف أضعافها . وأيضا ، فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم ، وكرامتهم عليه ، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه ، والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه ، بل بكون هو وحده المتولى لذلك ، الثائر لرسوله وأهل بيته .

وأيضاً ، فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى . والتي رميت زوجته . فلم يكن يليق أن يشهد ببرائتها ، مع علمه ، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببرائتها ، ولم يظن بها سوءاً قط . وحاشاه وحاشاه . ولذلك استعذر من أهل الإفك ، قال : من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي ...

فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة رضي الله عنها أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثابته ورفقه وحسن ظنه بربه ، وثقته به ، وفي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه .

حتى جاء الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال

ربه به واعتناؤه بشأنه .

ولقد أحبت نفس رسول الله ﷺ - عائشة حباً عظيماً . فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم ، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم . أولئك الطيبون والطيبات (مبرأون مما يقولون) بفطرتهم وطبيعتهم ، لا يلتبس بهم شيء مما قيل .

بذلك ينتهي حديث الإفك . ذلك الحادث الذي تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأكبر محنة . إذ كانت محنة الثقة في طهارة بيت الرسول ، وفي عصمة الله لنبيه أن يجعل في بيته إلا العنصر الطاهر الكريم . وقد جعلها الله معرضاً لتربية الجماعة المسلمة ، حتى تشف وترف ، وترتفع إلى آفاق النور . . في سورة النور .

* * * * * *

القسم الثالث : للآيات - من (٢١-٢٢)

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم . ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . ﴾

البحث السابع

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى :

(وأنها الصور مستنكره أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه ، وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان ، وأن يسلكوا طريقا غير طريقه المشؤوم ، صورة مستنكرة ، ينفر منها طبع المؤمن ، ويرتجف لها وجدانه ، ويقشعر لها خياله ﴾ . ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ .

وحديث الإفك نموذج من هذا المنكر الذي قاد إليه المؤمنين الذين

خاضوا فيه . وهو نموذج منفر شنيع .

وإن الإنسان لضعيف ، معرض للنزغات عرضة للتلوث ، إلا أن يدركه فضل الله ورحمته ، حين يتجه إلى الله ، ويسير على نهجه .فنور الله الذي يشرق في قلب يطهره ويزكيه ، ﴿ ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ﴾ .

أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية ، ومن لا فلا . لأنه السميع لأقوال عباده ، والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل .

وعلى ذكر التزكية والطهارة ، تجيء الدعوة إلى الصفح والمغفرة بين بعض المؤمنين وبعض ، كما يرجون غفران الله لما يرتكبون من أخطاء وذنوب . ﴿ولا يأتل أولى الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾.

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي بكر رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة ابن عباد بن المطلب ، وكان مسطح المذكور من المهاجرين ، وهو فقير ، وكانت أمه أبنة خالة أبي بكر رضي الله عنه ، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره وقرابته وهجرته، وكان ممن تكلم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك المذكور في قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ . وهو ما رموها به، أنها فجرت مع صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه .

وقصة الإفك معروفة مشهورة ثابتة في عشر آيات من هذه السورة الكريمة .

وفي الأحاديث الصحاح ، فلما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في الآيات المذكورة ، حلف أبو بكر ألا ينفق على مسطح ، ولا ينفعه بنافعة بعد ما رمى عائشة بالإفك ظلماً وافتراءً ..

نزلت هذه الآية تذكر أبا بكر ، وتذكر المؤمنين ، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم ، فليأخذوا أنفسهم - بعضهم مع بعض بهذا الذي يحبونـه ،ولا يحلفـوا أن يمنعوا البر عن مستحقيه ، إن كانـوا قد أخطأوا وأساءوا ..

وهنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية التي تطهرت بنور الله ، أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أبي بكر الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه ، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه ، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو ، وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي: ﴿ آلا تحبـون أن يغفر الله لكم ﴾ ؟ حتى يرتفع على الآلام ، ويرتفع على مشاعر الإنسان ، ويرتفع على منطق البيئة ، وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور الله.

فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . ويغيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ويحلف والله لا أنزعها منه أبداً ، ذلك في مقابل ما حلف : والله لا أنفعه بنافعة أبداً .

بذلك يمسح الله على الآلام التي أصابت ذلك القلب الكبير ، ويغسله من أوضار المعركة ، ليبقى أبداً نظيفاً طاهراً زكياً مشرقا بالنور ذلك . ذلك الغفران الذي يذكر الله المؤمنين به . إنما هو لمن تاب عن خطيئة رمي المحصنات وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا .

فأما الذين يرمون المحصنات عن خبث وعن إصرار ، كأمثال ابن أبي فلا سماحة ولا عفو ، ولو أفلتوا من الحد في الدنيا ، لأن الشهود لم يشهدوا فإن عذاب الله في الآخرة ينتظرهم ويوم ذاك لن يحتاج الأمر إلى شهود [1] .

اقتباس أحكام النور :

١- حرمة اتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر .

٢- متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه ، يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر .

٣- على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم .

٤- من حلف على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير .

---

(١) انظر في ظلال القرآن المجلد (٤- ج٦ / ص ٢٥٠٤ - ٢٥٠٥) .

٥- وجوب العفو والصفح على ذوى المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا .

٦- الصبر عند المصائب مفتاح الفرج .

٧- النفوس الزكية التي تطهرت بنور الله دائماً يشرق فيها النور .

* * * * * *

القسم الرابع : الآيات من (٢٣-٢٦)

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين . الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ .

البحث الثامن

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات أنهم ملعونون في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، وبين في غير هذا الموضع أن بعض أجزاء الكافر تشهد عليه يوم القيامة غير اللسان كقوله تعالى : ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ سورة يس (٦٥)

وقول تعالى : ﴿ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم

وجلودهم بما كانوا يعلمون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شيء . ﴾ إلى قوله : ﴿ وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننت أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ . المراد بالدين هنا الجزاء ويدل على ذلك قوله يوفيهم لأن التوفية تدل على الجزاء لقوله تعالى : ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ . والآيات القرآنية في ذلك كثيرة لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تكن حسنة يضاعفها ﴾ وقوله : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

هذه الآيات وإن تناولت إبتداءً عبدالله بن ابيُ فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة : أي عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها - لعنوا أي ابعدوا من الرحمة الإلهية في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم في الدنيا بإقامة الحد عليهم ، وفي الآخرة بعذاب النار .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : (ويجسم التعبير جريمة هؤلاء ويبشعها ، وهو يصورها رمياً للمحصنات المؤمنات وهن غافلات غارات غير آخذات حذرهن من الرمية . وهن بريئات الطوايا مطمئنات لا يحذرن شيئا ، لأنهن لم يأتي شيئا يحذرنه . فيه جريمة تتمثل فيها البشاعة ، كما تتمثل فيها الخسة ، ومن ثم يعاجل مقترفيها باللعنة ، لعنة الله لهم ، وطردهم من رحمته في

الدنيا والآخرة . ويختم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله في اختياره الذي ركبه في الفطرة ، وحققه في واقع الناس .

وهو أن يلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة ، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة . وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج ، وما كان يمكن أن تكون عائشة رضي الله عنها كما رموها ، وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهر هذه الأرض .

﴿ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ .

ولقد أحبت نفس رسول الله ﷺ عائشة حباً عظيماً ، فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم ، إن لم تكن طاهرة ، تستحق هذا الحب العظيم ، أولئك الطيبون والطيبات ﴿ مبرأون مما يقولون ﴾ .. بفطرتهم وطبيعتهم لا يلتبس بهم شيء مما قيل (لهم مغفرة ورزق كريم) مغفرة عما يقع منهم من الخطأ ، ورزق كريم . دلالة على كرامتهم عند ربهم الكريم ، بذلك ينتهي حديث الإفك ، ذلك الحادث الذي تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأكبر محنة . إذ كانت محنة الثقة في طهارة بيت الرسول . وفي عصمة الله لنبيه أن يجعل في بيته إلا العنصر الطاهر الكريم . وقد جعلها الله معرضاً التربية للجماعة المسلمة، حتى تشف وترف ، وترتفع إلى الآفاق العالية آفاق النور .. في سورة النور ... أ.هـ

البحث التاسع الأمر بالقرار في البيوت على النساء

١- أمر الله النساء بالقرار في البيوت - كما هو الأصل في الإسلام ، أن تقر المرأة في المبيت . قال الله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [١] .

يقول الحافظ ابن كثير في هذه الآية : (الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة) [٢] .

يقول أبو بكر الجصاص : وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج [٣] .

٢- هل الأمر بالقرار في البيوت خاص بأزواج النبي ﷺ ؟

أ- يخص البعض الأمر بالقرار في البيوت بنساء النبي ﷺ دون غيرهن من النساء .

ب- ويرد على هذا بأنه إذا كانت أزواج النبي ﷺ وهن أمهات المؤمنين أمرنا بالقرار في البيوت مع تقواهن وطهارتهنّ فما بال غيرهن من النساء ؟ إنهن أولى من أزواج النبي ﷺ بأن يؤمرن بالقرار في البيوت.

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : (٣٣) .
(٢) تفسير ابن كثير ، (ج ٣ ص ٤٨٢) .
(٣) أحكام القرآن للجصاص ، (ج ٣ ص ٣٦٠) .

وقد صرح المفسرون بأن الأمر بالقرار في البيوت لجميع النساء فيقول الإمام القرطبي في تفسير الآية المذكورة (معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت . وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء . كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والأنكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة [(١)] .

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الأصل للنساء هو القرار في البيوت لأجل هذا ليس على النساء حضور المسجد لا لصلاة الجماعة ولا لإقامة الجمعة مع أهميتهما القصوى في الشريعة الإسلامية كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة ، فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أومرماتين حسنتين لشهد العشاء [(٢)] .

ولهذا فقد قرر النبي ﷺ أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد مع الجماعة ، وليس ذلك إلا حرصاً من الشريعة الإسلامية ، على إبقاء المرأة في البيت .

يروي الإمام أحمد عن أم حميد الساعدية رضي الله عنها أنها جاءت

(١) تفسير القرطبي : (ج ١٤ ص ١٧٩) .
(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري : (ج٢ ص ١٢٥) .

النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله أني أحب الصلاة معك . قال : (وقد علمت أنكِ تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي) [١] وأما عدم وجوب حضور المرأة للجمعة : فقد روى الإمام الدار قطني عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافرأو امرأة أو صبي أو مملوك ، فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد [٢] .

* * * * * *

(١) انظر مسند الإمام أحمد : (ج٦ / ص ٣٧١) .
(٢) سنن الدار قطني مع التعليق - المغني : (ج ٢ ص ٣) .

اقتباس أحكام النور :

١- عظم ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات - وقد عده رسول الله ﷺ في السبع الموبقات ، والعياذ بالله تعالى .

٢- تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله .

٣- تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب الجوارح .

٤- استحقاق الخبث أهله ، فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث .

٥- استحقاق الطيب أهله ، فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب .

٦- براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك .

٧- بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما .

* * * * * *

القسم الخامس : من الآيات : (٢٧-٢٩)

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون . ﴾ .

البحث العاشر

أقول : نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان ومن هنا يجعل للبيوت حرمة لا يجوز المساس بها ، فلا يفاجأ الناس في بيوتهم يدخلون الغرباء عليهم إلا بعد استئذانهم والسماح لهم بالدخول ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوماً ، فيدخل الزائر البيت ، ثم يقول : لقد دخلت ، وكان يقع أن يكون صاحب الدار وأهله في الحالة التي لا يجوز أن يراهما عليها أحد . وكان يقع أن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة ،

هي أو الرجل لقد جعل الله البيوت سكنا ، يفيء إليها الناس ، فتسكن أرواحهم ، وتطمئن نفوسهم ، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب . والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم . وفي الوقت الذي يريدون ، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس .

من أجل هذا وذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي ، أدب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم ، وإزالة الوحشية من نفوسهم ، قبل الدخول .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ . وفي تفسير هذه الآية الكريمة بما يناسب لفظها وجهان : ولكل واحد منهما شاهد من كتاب الله :

الوجه الأول : أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش ، لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه ، فإذا أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش ، ولما كان الاستئناس لازماً للإذن أطلق اللازم ، وأريد ملزومة الذي هو الإذن ، وإطلاق اللازم ، وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف ، وعلى أن هذه الآية أطلق فيها اللازم الذي هو الاستئناس واريد ملزومه الذي هو الإذن يصير المعنى : حتى تستأذنوا ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ .

الوجه الثاني في الآية : هو أن يكون الاستئناس بمعنىالاستعلام

والاستكشاف . فهو استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أو علمه . والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يؤذن لكم أو لا ؟ وتقول العرب : استئنس هل ترى أحداً ، واستأنست فلم أرى أحداً ، أي تعرفت واستعلمت ، ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ أي علمتم رشدهم وظهر لكم . وقوله تعالى عن موسى : ﴿إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ . وبعد الاستئذان إما أن يكون في البيوت أحد من أهلها أو لا يكون ، فإن لم يكن فيها أحد فلا يجوز اقتحامها ، بعد الاستئذان ، لأنه دخول بغير إذن : ﴿ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ . وإن كان فيها أحد من أهلها فإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول ، فإنما هو طلب للإذن ، فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك . ويجب الإنصراف دون تلكؤ ولا انتظار . ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ ارجعوا دون أن تجدوا في أنفسكم غضاضة ، ودون أن تستشعروا من أهل البيت الإساءة إليكم ، أو النفرة منكم فللناس أسرارهم وأعذارهم ، ويجب أن يترك لهم وحدهم تقدير ظروفهم وملابساتهم في كل حين. ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ فهو المطلع على خفايا القلوب ، وعلى ما فيها من دوافع ومثيرات . فأما البيوت العامة كالفنادق والمثاوي والبيوت المعدة للضيافة منفصلة عن السكن ، فلا حرج في الدخول إليها بغير استئذان ، دفعاً للمشقة ما دامت علة الاستئذان منتفية .

﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ .

﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ . فالأمر معلق بإطلاع الله على

ظاهركم وخافيكم ، ورقابته لكم في سركم وعلانيتكم . وفي هذه الرقابة ضمان لطاعة القلوب ، وامتثالها لذلك الأدب العالي ، الذي يأخذها الله به في كتابه الذي يرسم للبشرية نهجها الكامل في كل اتجاه .

وروى عطاء بن رباح عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : قلت أأستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد ؟ قال : نعم . فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال : تحب أن تراها عريانة ؟ قلت : لا . قال : فاستأذن . قال : فراجعته أيضاً فقال : أتحب أن تطيع الله ؟ قال : قلت : نعم. قال : فاستأذن .

وجاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً . وفي رواية ليلاً يتخونهم . وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قدم المدينة نهاراً ، فأناخ بظاهرها وقال : (انتظروا حتى ندخل عشاء - يعنى آخر النهار حتى تمتشط الشعثة ، وتستحد [١] المغيبة) .

إلى هذا الحد من اللطف والدقة بلغ حسن رسول الله ﷺ وصحابته ، بما علمهم الله من ذلك الأدب الرفيع الوضيء المشرق بنور الله .

ونحن اليوم مسلمون ولكن حساسيتها بمثل هذه الدقائق قد تبلدت وغلظت . وإن الرجل ليهجم على أخيه في بيته ، في أية لحظة من لحظات الليل والنهار ، يطرقه ويطرقه ويطرقه فلا ينصرف أبداً حتى يزعج أهل البيت فيفتحوا له ، وقد يكون في البيت هاتف (تليفون) يملك أن يستأذن عن طريقه ، قبل

(١) تتطيب من الشعر الداخلي .

أن يجيء ، ليؤذن له أو يعلم أن الموعد لا يناسب ، ولكنه يهمل هذا الطريق ليهجم في غير أوان ، وعلى غير موعد ، ثم لا يقبل العرف أن يرد عن البيت وقد جاء مهما كره أهل البيت تلك المفاجأة بلا إخطار ولا انتظار .

ونحن اليوم مسلمون ، ولكننا نطرق إخواننا في أي لحظة في موعد الطعام ، فإن لم يقدم لنا الطعام وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً ونطرقهم في الليل المتأخر ، فإن لم يدعونا إلى المبيت عندهم وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً - دون أن نقدر أعذارهم في هذا وذاك ذلك أننا لا نتأدب بأدب الإسلام ، ولا نجعل هوانا تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ إنما نحن عبيد لعرف خاطيء ، ما أنزل الله به من سلطان .

ونرى غيرنا ممن لم يعتنقوا الإسلام يحافظون على تقاليد في سلوكهم تشبه ما جاء به ديننا ليكون أدباً لنا في النفس ، وتقليد من تقاليدنا في السلوك فيعجبنا ما نراهم عليه أحياناً ، ونتندر به أحياناً ولا نحاول أن نعرف ديننا الأصل فنفيء إليه مطمئنين .

عدم الوقوف أمام الباب :

من آداب الاستئذان أن لا يقف المستأذن أمام الباب خشية أن يمتد بصره إلى من بداخل البيت ، فقد روى الإمام أبو داود عن هزيل قال : جاء سعد فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن ، فقام مستقبل الباب فقال له النبي ﷺ : « هكذا - عنك - أو هكذا ، فإنما الاستئذان من النظر » .

مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة:

المسألة الأولى :

اعلم أن هذه الآية الكريمة دلت بظاهرها على أن دخول الإنسان بيت غيره بدون الاستئذان والسلام لا يجوز لأن قوله : ﴿ ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ .. الآية . نهى صريح ، والنهي المتجرد عن القرائن يفيد التحريم على الأصح ، كما تقرر في الأصول .

المسألة الثانية :

أعلم أن الاستئذان ثلاث مرات ، يقول المستأذن في كل واحد منها : السلام عليكم أأدخل ؟ فإن لم يؤذن له عند الثالثة فليرجع ولا يزيد على الثلاث، وهذا لا ينبغي أن يختلف فيه ، لأنه ثابت عن النبي ﷺ ثبوتاً لا مطعن فيه .

المسألة الثالثة :

أعلم أن المستأذن إذا قال له رب المنزل : من أنت فلا يجوز له أن يقول له: أنا ، بل يفصح باسمه وكنيته إن كان مشهوراً به ، لأن لفظة : أنا يعبر بها كل أحد عن نفسه فلا تحصل بها معرفة المستأذن وقد ثبت معنى هذا عن النبي ﷺ ثبوتاً لا مطعن فيه .

المسألة الرابعة :

أعلم أن الأظهر الذي لا ينبغي العدول عنه أن الرجل يلزمه أن يستأذن على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغين ، لأنه إن دخل على من ذكر بغير استئذان فقد تقع عينه على عورات من ذكر ، وذلك لا يحل له .

المسألة الخامسة :

أعلم أنه إن لم يكن مع الرجل في بيته إلا امرأته أن الأظهر أنه لا يستأذن عليها ، ذلك يفهم من ظاهر قوله تعالى : ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ﴾ ولأنه لا حشمة بين الرجل وامرأته ويجوز بينهما من الأحوال والملابسات ما لا يجوز لأحد غيرهما .

المسألة السادسة :

إذا قال أهل المنزل للمستأذن أرجع وجب عليه الرجوع لقوله تعالى : ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ .

المسألة السابعة :

أعلم أن أقوى الأقوال دليلاً وأرجحها فيمن نظر من كوة داخل منزل قوم ففقأوا عينه التي نظر إليهم بها ، ليطلع على عوراتهم أنه لا حرج عليهم في ذلك من إثم ولا غرم دية العين ولا قصاص ، وهذا لا ينبغي العدول عنه لثبوته عن النبي ﷺ ثبوتاً لا مطعن فيه .

اقتباس أحكام النور :

١- مشروعية الاستئذان ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته .

٢- الرخصة في عدم الاستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض .

٣- من آداب الاستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه ، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات .

٤- في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

٥- وجوب الاستئذان عند دخول البيوت المسكونة .

٦- يلزم الرجل أن يستأذن على أمه وأخته وبناته البالغين - ولا يدخل عليهم مفاجأة وبغتة .

* * * * * *

القسم السادس - من الآيات : (٣٠-٣١)

قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ءابائهن أو ءاباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾.

البحث الحادي عشر

أمر الله جلّ وعلا المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج ، ويدخل في حفظ الفرج : حفظه من الزنى ، واللواط ، والمساحقة ، وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم ، وقد دلت آيات أخرى على أن حفظه من المباشرة المدلول عليه بهذه الآية يلزم عن كل شيء إلا الزوجة والسرية ، وذلك

في قوله تعالى : في سورة المؤمنون ، وسأل سائل : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ . فقد بينت هذه الآية أن حفظ الفرج من الزنا واللواط لازم ، وأنه لا يلزم حفظه عن الزوجة ، والموطوءة بالملك . وأوضح تأكيد حفظ الفرج عن الزنا في آيات من كتاب الله : كقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وأوضح لزوم حفظ الفرج من اللواط وبين أنه عدوان في آيات متعددة في قصة قوم لوط : كقوله : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولوطا إذا قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات .

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء .

فقوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظو فروجهم ﴾ أي مُرْ يا رسولنا المؤمنين بأن يغضوا من أبصارهم أي بأن يخفضوا أجفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم

النظر أولى وأطيب ، وقوله : ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ أي أطهر لنفوسهم من نوافل العبادات ، وقوله : ﴿ إن الله خبير بما يصنعون ﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وقوله تعالى : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمربه الرجال من غض البصر وحفظ الفرج .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ أهي مُرهن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ مما لا يمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه ، أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم حناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لا يمكنها ستره . وقوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفيها فأمرتن أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر ستراً كاملاً وقوله : ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ أعاد اللفظ ليترتب عليه ما بعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج ، والأب والجد وإن علا ، وأب الزوج وإن علا ، وابنها وإن سفل ، وأبناء الزوج وإن نزلوا ، والأخ الشقيق أو لأب ، أو لأم ، وأبناؤه وإن نزلوا ، وابن الأخ وإن نزلوا وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق ، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم وقوله تعالى : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ نهى تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها ، فلا

ترى ما ظهر في عصرنا الحاضر من الفتن وكشف العورات وخروج النساء الفاتنات الكاشفات العاريات ، واختلاط الرجال والنساء من ممثلين وممثلات إلى أرض المسرح ومحل الإذاعات أمام الناس وما يجري بينهم من أمور خليعة لا يرضى بها الله سبحانه وتعالى . تراهم يصرحنا ويمرحنا ويرقصنا ويتبادلنا أسباب العشق والغزل . أمور يقشعر منها الجلد ، ويعتصر قلب المسلم الخائف من عقاب الله وبطشه ، كيف يفعل هذه المنكرات والفتن في بعض الدول المسلمة .. من أفتاهم بحلها من علماء الإسلام .. وهل ورد دليل بحلها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره . وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب .

آداب تلتزم بها المرأة المسلمة :

١- كثير من النساء لا يخرجهن من البيوت إلا رغبة منهن في إظهار حسنهن وجمالهن .. إن مثل هذا الخروج لا يسمح به الإسلام ولا يأذن له . يسمح الإسلام بالخروج إذا كانت هناك حاجة للخروج . فقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه بقوله : (باب خروج النساء لحوائجهن) ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها قالت خرجت سودة

بنت زمعة ليلاً ، فرآها عمر ، فعرفها ، فقال : إنك والله يا سودة ما تخفين علينا . فرجعت إلى النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، وهو في حجرتي يتعشى وإن في يده لعرقا ، فأنزل عليه فرفع عنه ، وهو يقول : « قد أنزل الله لكن أن تخرجن لحوائجكن »[(١)] .

ويقول العلامة العيني في شرح هذا الحديث : (قال ابن بطال : في هذا الحديث دليل على أن النساء يخرجن لكل ما أبيح لهن الخروج فيه من زيارة الآباء والأمهات وذوى المحارم وغير ذلك مما تمس به الحاجة[(٢)] وخلاصة القول أن الإسلام يأذن للمرأة أن تخرج من البيت إذا كانت هناك حاجة مع مراعاة الآداب الإسلامية . وأما خروجها لإظهار الحسن والجمال والأزياء الجديدة فيحرمه . يقول الشيخ ولي الله الدهلوي : (شرع النبي ﷺ ألا تخرج المرأة من بيتها إلا لحاجة لا تجد منها بد)[(٣)] .

٢- لا تخرج إلا بإذن زوجها .

ذكرنا سابقاً أنه لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا لحاجة لكن وجود الحاجة وحده ليس كافياً لخروجها من البيت بل عليها أن تستأذن من الزوج قبل الخروج . ولا تخرج إلا إذا أذن لها .

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري : (ج ٩ / ص ٣٣٧) .
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (ج٢٠/ص٢١٨) .
(٣) حجة الله البالغة : (ج٩/ ص ١٢٥) .

فقد روى الإمام البيهقي عن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ولا تخرج ، (الزوجة) من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها الملائكة ، ملائكة الغضب والرحمة حتى تتوب أو تراجع (١) .

وسئل شيخ الإسلام عمن تزوج بامرأة ودخل بها ، وهو مستمر في النفقة ، وهي ناشز ثم أن والدها أخذها وسافر من غير إذن الزوج ، فماذا يجب عليها ؟

فأجاب : الحمد لله ، إذا سافر بها بغير إذن الزوج فإنه يعزر على ذلك، وتعزر الزوجة إذا كان التخلف يمكنها ، ولا نفقة لها من حين سافرت، والله أعلم (٢) .

٣- من الآداب التي تجب على المرأة ، أن لا تختلط بالرجال درءاً لانتشار الفساد والفحشاء . يقول الإمام ابن القيم : (ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة . واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا . وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة . ولما اختلط البغايا بعسكر موسى ، وفشت فيهم الفاحشة ، أرسل الله عليهم الطاعون ،

(١) رواه البيهقي : (ج٧/ص٢٩٢) . طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .
(٢) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : (ج٣٢/ص٢٨١) .

فمات في يوم سبعون الفاً [١] .

٤- لا تسافر إلا ومعها ذو محرم :

من الآداب التي قررت الشريعة الإسلامية أن تلتزمها المرأة ألا تسافر إلا ومعها ذو محرم . فقد روى الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسافر المرأة ثلاثاً ، إلا ومعها ذو محرم [٢] »

وروى الإمام مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها [٣] .

وروى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم [٤] يتضح من الروايات المذكورة أنه لا يجوز للمرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم .

ويقول الإمام النووي في شرح الأحاديث الواردة في النهي عن سفر المرأة بغير محرم : (قال البيهقي : كأنه ﷺ سئل عن المرأة تسافر ثلاثاً بغير محرم فقال : لا . وسئل عن سفرها يومين بغير محرم فقال : لا .

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص : ٢٨١) .
(٢) صحيح مسلم (ج٢ / ص ٩٧٥) .
(٣) موطأ الإمام مالك : (ج٢/ص ٧٣) .
(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري : (ج٤/ ص ٧٢) .

وسئل عن سفرها يوماً ، فقال : لا .

فالحاصل أن كل ما يسمى سفراً تنهى عنه المرأة بغير زوج أو محرم سواء كان ثلاثة أيام أو يومين أو يوماً أو بريداً أو غير ذلك لرواية ابن عباس المطلقة لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم) . وهذا يتناول جميع ما يسمى سفراً والله أعلم [1] .

٥- هل للمرأة أن تحج وليس معها محرم ؟

ج- الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة - فرضه الله على الناس ، يقول الله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ [2] . ومع هذا ، فليس للمرأة أن تخرج للحج إلا ومعها ذو محرم . فقد روى الإمام الدار قطني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تحج امرأة إلا ومعها ذو محرم » [3] وروى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم ، فقال رجل ، يا رسول الله امرأتي خرجت حاجة واكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : ارجع فحج مع امرأتك) [4] .

---

(١) شرح النووي : ج٩ / ص ١٠٣ - ١٠٤ . باختصار .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .
(٣) نقلاً عن نيل الأوطار : ج٥/ ص١٦ .
(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩/ص٣٣٠ -٣٣١ .

أ- وصرح بعض الفقهاء بأن الحج لا يجب على المرأة التي لا يكون لها ذو محرم وإن كانت موسرة ، يقول الإمام الترمذي : قال بعض أهل العلم لا يجب عليها الحج لأن المحرم من السبيل لقول الله عزّ وجلّ ﴿ من استطاع إليه سبيلا ﴾ فقالوا : إذا لم يكن لها محرم فلم تستطع إليه سبيلا وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة) [1] .

ويقول ابن قدامة في المغني : قال ابو داود : قلت لأحمد ، امرأة موسرة لم يكن لها محرم، هل يجب عليها الحج ؟ قال : لا ، وقال أيضاً : المحرم من السبيل [2] .

ب- وقال ابن سيرين ومالك والأوزاعي والشافعي : ليس المحرم شرطاً في حجها بحال ، قال ابن سيرين تخرج مع رجل من المسلمين لا بأس به وقال مالك تخرج مع جماعة النساء ، وقال الشافعي : تخرج مع حرة مسلمة ثقة ، وقال الأوزاعي : تخرج مع قوم عدول تتخذ سلما تصعد عليه وتنزل ولا يقربها رجل إلا أنه يأخذ رأس البعير وتضع رجلها على ذراعه [3] .

ومما ينبغي أن لا يغيب عن البال أن الأئمة الذين رخصوا للمرأة بالسفر بدون محرم للحج ، اشترطوا أن تكون في مصاحبة الأمناء [4]

---

(١) جامع الترمذي مع تحفة الأحوذي : (ج٢/ص٢٠٦-٢٠٧) .
(٢) المغني : (ج ٣/ ص ٢٣٦) .
(٣) المرجع السابق : (٢٣٦) .
(٤) وإن كنا نميل إلى ما قاله الإمام أبو حنيفة وأحمد أن لا تخرج بدون محرم لسفر الحج لوجود الحديث الصريح في ذلك ، ويقول ابن المنذر : (تركوا القول بظاهر الحديث ، واشترط كل واحد منهم شرطاً لا حجة معه عليه) نقلاً عن المغني : (ج٣/ص ٢٣٧) .

فكيف يتسنى للمرأة المسلمة اليوم أن تسافر وحدها حيث تشاء باسم الدراسة تارة وباسم التنزه والسياحة تارة أخرى ؟

لقد أمر رسول الله ﷺ الزوج المجاهد بأن يترك الجهاد ويصاحب زوجته التي تريد الحج ، حتى لا تكون بدون محرم في سفرها ، رغم ما يكتنف الطريق من إهلال وتلبية .

ومما هو جدير بالذكر أن الاختلاف الذي ذكرنا بين الأئمة حول خروج المرأة في مصاحبة الأمناء من النساء أو الرجال قاصر على حالة ما إذا كان السفر لأداء فريضة الحج أو العمرة ، أما إذا كان السفر لغيرهما ، فيقول الإمام النووي : قال القاضي عياض واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع محرم إلا الهجرة من دار الحرب فاتفقوا على أن عليها أن تهاجر منها إلى دار الإسلام وإن لم يكن معها محرم [1] .

(١) شرح النووي : (ج٩/ص ١٠٤) . وذكر الحافظ ابن حجر بأن الإمام البغوي قال : لم يختلفوا في أنه ليس للمرأة السفر في غير الفرض إلا مع زوج أو محرم إلا كافرة اسلمت في دار الحرب أو أسيرة تخلصت . وزاد غيره أو امرأة انقطعت من الرفقة فوجدها رجل مأمون فإنه يجوز لها أن يصحبها حتى يبلغها الرفقة . فتح الباري : (ج٤/ ص٧٦) .

اقتباس أحكام النور :

١- وجوب غض البصر وحفظ الفرج .

٢- وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة .

٣- بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج .

٤- الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئا.

٥- حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها ليعلم ما يخفي من زينتها .

٦- وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل .

٧- وجوب الاستئذان عند دخول البيوت المسكونة .

٨- وجوب احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب .

٩- وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك .

١٠- وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم .

القسم السابع - من الآيات : (٣٢-٣٤)

قال الله تعالى : ﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم . وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم . ولقد أنزلنا إليكم ءايات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴾ .

البحث الثاني عشر

معنى الآيات : مازال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة - وقد وردت في هذه الآيات الكريمات أوامر من الله سبحانه وتعالى : فعلى المسلم أن يتقى الله ويعملوا بها :

الأول : أمر الله جماعة المسلمين أن يزوجوا الأيامى من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية

عزبٌ إلا نادراً .

والأمر للإشارة والندب . لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه . وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك . وفي (الأكليل) استدل الشافعي رحمه الله بالأمر على اعتبار الولي . لأن الخطاب له . وعدم استقلال المرأة بالنكاح . (والأيامى) جمع أيم - وهو من لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان قد تزوج قبل ذلك أو لم يتزوج قط يقال : رجل أيم ، وامرأة أيم . (منكم) أي جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين .

وقوله : ﴿ والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾ أي وزوج القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته ، وتكاليفه من مماليككم . وقوله : ﴿ إن يكونوا فقراء ﴾ غير موسرين لا يمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزوجهم ، أي لا يمنعهن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة ، فإن الله سبحانه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب . فيه وعد من الله للمتزوج الفقير من الأحرار والعبيد بأن الله يغنيه .

والله لا يخلف الميعاد ، وقد وعد الله أصحاب رسول الله ﷺ الفقراء باليسر بعد ذلك العسر ، وأنجز لهم ذلك ، وذلكم في قوله تعالى : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ وهذا الوعد منه جل وعلا وعد به من اتقاه . كما في قوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الآية . ووعد بالرزق أيضاً من يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها وذلك في قوله تعالى ﴿ وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ وقد وعد المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيه نوح في قوله تعالى

عنه ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ وعلى لسان هود في قوله تعالى عنه ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ الآية . وعلى لسان نبينا ﷺ وعليهما جميعاً وسلم ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ﴾ . ومن الآيات الدالة على أن طاعة الله تعالى سبب للرزق قوله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾.

ومن بركات السماء المطر ، ومن بركات الأرض النبات مما يأكل الناس والأنعام .

الثاني : أمر تعالى في هذه الآية من لا يجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتا أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة وتكاليف العرس ، أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾. أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عباده وحاجة المحتاجين منهم.

هذا الاستعفاف المأمور به في هذه الآية الكريمة . هو المذكور في قوله : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ونحو ذلك من الآيات . وما أحسن ما رتب هذه الأوامر . حيث أمر

أولاً بما يعصم من الفتنة . ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غض البصر . ثم النكاح ، الذي يحصن به الدين ، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام . ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء ، وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح ، إلى أن يرزق القدرة عليه .

وفي الآية استحباب الصبر عن النكاح لمن لا يقدر على مؤنته ، واستدل بعضهم بهذه الآية على بطلان نكاح المتعة . فإذا وجد في المجتمع الإسلامي - أيامى فقراء وفقيرات ، تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج ، فعلى الجماعة المسلمة أن تزوجهم .

ولا يجوز أن يقوم الفقر عائقاً عن التزويج متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه رجالاً ونساء ، فالرزق بيد الله ، وقد تكفل الله بإغنائهم ، وإن هم اختاروا طريق العفة النظيف : ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف » أخرجه الترمذي والنسائي .

الثالث : ولما أمر تعالى السادة بتزويج الصالحين من عبيدهم وإمائهم ، مع الرق ، أمره ورغبهم في أن يكاتبوهم إذا طلبوا ذلك ، ليصيروا أحراراً فيتصرفوا في أنفسهم كالأحرار : فقال الله تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أي الكتابة ﴿ مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾ . حرصاً على تحريرهم الذي هو الأصل فيهم ، وحباً بتحقيق المساواة في الأخوة الجنسية والمكاتبة أن يقول السيد: كاتبتك . أي جعلت عتقك مكتوباً على نفسي ، بمال كذا تؤديه في

نجوم كذا . ويقبل العبد ذلك ، فيصير مالكا لمكاسبه ولما يوهب له ، وإنما وجب الإمهال ، لأن الكسب لا يتصور بدونه . واشترط النجوم لئلا تخلو تلك المدة عن الخدمة . وقوله تعالى : ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أي كالأمانة ، لئلا يؤدوا النجوم من المال المسروق . والقدرة على الكسب والصلاح ، فلا يؤذوا أحداً بعد العتق .

وقوله تعالى : ﴿ وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم ﴾ أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم . وفي حكمه ، حط شيء من مال الكتابة . ولغيرهم بإعطائهم من الزكاة إعانة لهم على تحريرهم .

وقال في (الإكليل) : وفي الآية مشروعية الكتابة . وأنها مستحبة . وقال أهل الظاهر : واجبة لظاهر الآية . وأن لندبها أو وجوبها ، شرطين : طلب العبد لها ، وعلم الخير فيه ، وفسره مجاهد وغيره بالمال والحرفة والوفاء والصدق والأمانة .

الرابع نهى تعالى عن إكراه الجواري على الزنى كما أعتادوه في الجاهلية ، بقوله سبحانه : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جاريتين كانتا لعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق يقال لهما معاذة ومسيكة قد أسلمتا فآمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكتا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾

أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك .

وقوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ ولقد أنزلنا آيات مبينات ﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنية مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وأخرتكم. وقوله : ﴿ ومثلاً من الذين خلو من قبلكم ﴾ . أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك. وقوله تعالى : ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ . وهي ما تضمنته الآيات من الوعيد والوعد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع هو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين .

❃ ❃ ❃ ❃ ❃ ❃

اقتباس أحكام النور :

١- انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامي من المسلمين أحراراً أو عبيداً .

٢- وجـوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره .

٣- عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى .

٤- تعيين مكاتبة العبد إذا توافرت فيه شروط المكاتبة .

٥- حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود .

٦- صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجماً أي قسطاً. على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر ، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .

٧- بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

٨- آيات سورة النور ، لا تدع مجالاً للغموض والتأويل ، والإنحراف عن النهج القويم .

القسم الثامن : من الآيات : (٣٥-٣٨)

قال تبارك وتعالى : ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب . ﴾

البحث الثالث عشر

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ يقول : هادي أهل السماوات والأرض ، يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما .

وقال السدي في قوله : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ فبنوره أضاءت السماوات ، وفي الحديث : « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات [1] وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ الحديث .

وقوله تعالى : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السماوات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه .

٢- وقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ أي كوة في جدار ﴿ فيها مصباح المصباح في زجاجة ﴾ ﴿والزجاجة ﴾ في صفائها وصقالتها مشرقة ﴿ كأنها كوكب دري ﴾ والكوكب الدري هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية . وقوله : ﴿ يوقد من شجرة مباركة ﴾ أي وزيت المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة ، والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح ، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها

(١) ذكره ابن اسحاق في السيرة من دعائه صلى الله عليه وسلم يوم آذاه أهل الطائف .

الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه ، ولو لم تمسه نار ، وقوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ أي نور النار على نور الزيت . وقوله تعالى : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنه يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها . وقوله تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ ويخبر تعالى : أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه للإيمان وقلب عبده المؤمن وإنه عليم بالعباد وأحوال القلوب ، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل ، إذ هو بكل شيء عليم .

٣- وقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم ، بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلاً ، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض ، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد ، فقال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ أي أمر تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس والنجاسات ، واللغو ، والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها .

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : نهى الله سبحانه عن اللغو فيها. وقال قتادة : هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها ، وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول : مكتوب في التوراة

إن بيوتي في الأرض المساجد ، وأنه من توضأ فأحسن وضوئه ، ثم زارني في بيتي أكرمته ، وحق على المزور كرامة الزائر) (١) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها ، فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » (٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة » (٣) وعن عائشة رضي الله عنها : أمرنا رسول الله ﷺ : ببناء المساجد في الدور ، وأن تنظف وتطيب (٤) وقوله : ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ أي بالآذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن.

٤- وقوله تعالى : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني بالغدو صلاة الغداة ، ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة ، فأحب أن يذكرهما وأن يذكر بهما عباده ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٢) أخرجاه في الصحيحين .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) رواه أحمد وأصحابه في السنن إلا النسائي .

وعن الحسن والضحاك ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ يعني الصلاة . وقوله تعالى : ﴿ رجال ﴾ فيه إشعار بهممهم السامية ، ونياتهم وعزائمهم العالية ، التي بها صاروا عمار للمساجد ، التي هي بيوت الله في أرضه ، ومواطن عبادته وشكره ، وتوحيده وتنزيهه ، كما قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

وأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن ، عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » أخرجه الإمام أحمد .

وقوله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أي يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ .

كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ . يقول تعالى : لا تشغلكم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم ، لأن الذي عنده خير لهم وأنفع مما بأيديهم ﴿ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ، روى عمر بن دينار : أن ابن عمر رضي الله عنهما كان في السوق فأقيمت الصلاة ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد ، فقال ابن عمر : فيهم نزلت : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ . وقال السدي : عن الصلاة في جماعة، وقال مقاتل بن حبان :

لا تلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله ، وأن يحافظا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار : أي من شدة الفزع وعظمة الأهوال . كقوله تعالى : ﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

وقوله تعالى هاهنا : ﴿ ليجزيهم أحسن ما عملوا ﴾ أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم .

وفي الحديث : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلائق) [1] وروى الطبراني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ قال : أجورهم يدخلهم الجنة ، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا . والله يرزق من يشاء بغير حساب ، وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عدِ ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن مرفوعاً .

اقتباس أحكام النور :

١- كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك .

٢- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والأفهام .

٣- الإشارة إلى ملة الإسلام وحدها ، لا يهودية ولا نصرانية ، لا اشتراكية ولا رأسمالية . بل الملة الحنفية من دان بها هدي ومن كفرها ضل .

٤- وجوب تعظيم بيوت الله تعالى (المساجد) بتطهيرها ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها .

٥- ثناء الله تعالى على من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

٦- ليوفيهم أجورهم يوم القيامة بدخولهم الجنة .

٧- فضل الله على العباد واسع ، يرزق من يشاء بغير حساب .

القسم التاسع : من الآيات (٣٩-٤٢)

قال الله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور . ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون . ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير . ﴾

البحث الرابع عشر

قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ﴾ لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء .

وهذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار : فأما الأول - من هذين

المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات ، وليسوا في نفس الأمر على شيء ، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض من بعد كأنه بحر طام ، والقيعة جمع قاع كجار وجيرة ، وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب ، يرى كأنه ماء بين السماء والأرض ، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه ، فلما انتهى إليه ﴿ لم يجده شيئاً ﴾ .

فكذلك الكافر ، يحسب أنه عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً ، فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً بالكلية ، كما قال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ وقال هاهنا : ﴿ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

وفي الصحيحين : « أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون؟ فيقولون : يا رب عطشنا فاسقنا ، فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فينطلقون فيتهافتون فيها » [(١)] وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب ، فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾.

---

(١) أخرجه الشيخان .

أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ، ولا يدري أين يذهب بل يقال المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم ، قيل : فإلى أين يذهبون ؟ قال : لا أدري ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ يغشاه موج ﴾ يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهي كقوله ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ كقوله : ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ .

فالكفر يتقلب في خمسة من الظلم : فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار وبئس القرار ، وقوله تعالى : ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل بائر كافر ، كقوله : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾ وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ .

فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، وأن يعظم لنا نوراً .

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ .

قال سيد قطب رحمه الله : إن الإنسان ليس مفرداً في هذا الكون الفسيح، فإن من حوله ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ، وحيثما امتد به النظر أو طاف به الخيال .. إخوان له من خلق الله ، لهم طبائع شتى ، وصور شتى ، وأشكال شتى ، ولكنهم بعد ذلك كله يلتقون في الله ،

ويتوجهون إليه ، ويسبحون بحمده ، ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾

والقرآن الكريم يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله ، وإلى من حوله من خلق الله في السماوات والأرض ، وهم يسبحون بحمده وتقواه ، ويوجه بصره وقلبه خاصةً إلى مشهد في كل يوم يراه ، فلا يثير انتباهه ولا يحر قلبه لطول ما يراه . ذلك مشهد الطير صافات أرجلها وهي الطائرة في الفضاء تسبح بحمد الله : ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ .. والإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه ، وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة . وإن الكون ليبدو في هذا المشهد الخاشع متجها كله إلى خالقه ، مسبحاً بحمده، قائماً بصلاته ، وإنه كذلك في فطرته ، وفي طاعته لمشيئة خالقه الممثلة في نواميسه .

وإن الإنسان ليدرك حين يشف - هذا المشهد ممثلاً في حسه كأنه يراه وإنه ليسمع دقات هذا الكون وإيقاعاته تسابيح لله . وإنه ليشارك كل كائن في هذا الوجود صلاته ونجواه ..

كذلك كان محمد بن عبدالله صلاة الله وسلامه عليه - إذا مشى سمع تسبيح الحصى تحت قدميه . وكذلك كان داود - عليه السلام - يرتل مزاميره فتؤوب الجبال معه والطير .

﴿ ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير ﴾ . فلا اتجاه إلا إليه ، ولا ملجأ من دونه ، ولا مفر من لقائه ، ولا عاصم من عقابه ، وإلى الله المصير ، أي يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء ، ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ . فهو الخالق المالك ، له الحمد في الأولى والآخرة .

اقتباس أحكام النور :

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان .

٢- بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها .

٣- بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم .

٤- تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها .

٥- بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ وقوله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

٦- ومن الآيات الدالة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه .

٧- أن للطير صلاة وتسبيحاً ، صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود .

القسم العاشر : من الآيات (٤٣-٤٦)

قال الله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار . والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء . إن الله على كل شيء قدير . لقد أنزلنا ءايات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . ﴾

البحث الخامس عشر

مازال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أن الله يزجي سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلف ﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي متراكما على بعض ﴿فترى الودق ﴾ أي المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أي من فتوقه وشقوقه. وقوله:

﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد أو المطر من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته ، ويصرفه عمن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة واللطف الإلهي .

ومشهد السُحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها ، فإذا المشهد الجبال حقا، بضخامتها ، ومساقطها وارتفاعاتها ، وانخفاضاتها ، وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يراها الناس ، إلا بعد ما ركبوا الطائرات .

وقوله : ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه .

وقوله تعالى : ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا ، حتى يعتدلا ، فهو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ، بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل ، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به ، وقوله : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ أي إن إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظمة عظيمة لأُولى الأبصار والبصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكماله فيعبدونه ويوحدونه محبين له معظمين راجين خائفين إن هذه ثمرة الهداية ..

الله أكبر - وإننا لنجد نور الله هناك . فالله نور السماوات والأرض .. نجده في الآفاق وفي أنفسنا في ذات اللحظة التي نشهد فيها هذا الوجود بالحس

البصير ، والقلب المتفتح ، والتأمل الواصل إلى حقيقة التدبير . لهذا يوقظنا القرآن المرة بعد المرة ، ويوجه حسنا وروحنا إلى شتى مشاهد الوجود الباهرة كي لا نمر عليها غافلين مغمضي الأعين ، فنخرج من رحلة الحياة على هذه الأرض بغير رصيد أو برصيد قليل هزيل ..

ويمضي السياق في عرض مشاهد الكون ، ثم يعرض نشأة الحياة من أصل واحد ، وطبيعة واحدة ، ثم تنوعها ، مع وحدة النشأة والطبيعة ، ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ . وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة ، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء ، قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعاً ، وهو الماء ، كما جاء ذلك في إثبات الحقيقة القرآنية . وهي أن الله خلق الأحياء كلها من الماء . فهي ذات أصل واحد ثم هي - كما ترى العين - متنوعة الأشكال . منها الزواحف تمشي على بطنها ، ومنها الإنسان والطير يمشي على رجلين ، ومنها الحيوان يدب على أربع كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته لاعن فلتة ولا مصادفة : ﴿ يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات ﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكما لهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعوا إليه من الهدى اهتدى ، ومن أعرض عنها فضل وشقي فلا يلومن إلا نفسه ،

﴿ والله يهدي من يشاء ﴾ هدايتي ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ، ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير .

اقتباس أحكام النور :

١- مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى .

٢- بيان كيفية نزول المطر والبرد .

٣- مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن زرع وماشية بعض عباده .

٤- مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضما بعضاً .

٥- بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء .

٦- امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والنجاة من العذاب الشديد .

٧- التأمل في تقلب الليل والنهار بهذا النظام الذي لا يختل ولا يفتر يوقظ في القلب الحساسية والتدبر في الكون .

القسم الحادي عشر : من الآيات (٤٧-٥٢)

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون ءامنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتوله فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ .

البحث السادس عشر

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان بالله ورسوله ، وما عند الله من نعيم مقيم ، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴾ أي صدقنا بالله ربا وإلهاً وبمحمد نبيا ورسولاً ، وأطعناهم ﴿ ثم يتولى فريق منهم

من بعد ذلك ﴾ أي من تصريحهم بالإيمان والطاعة يقوبون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله ، ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا .. فيخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، يقولون قولاً بألسنتهم ويخالفون بأقوالهم أعمالهم . لقد كان هؤلاء الذين يدعون الإيمان يخالفون مدلوله حين يدعون ليتحاكموا إلى الله ورسوله ﷺ - على شريعة الله التي جاء بها . ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ فقد كانوا يعلمون أن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق ، ولا ينحرف مع الهوى ولا يتأثر بالمودة والشنآن . وهذا الفريق من الناس لا يريد الحق ولا يطيق العدل . ومن ثم كانوا يعرضون عن التحاكم إلى رسول الله ﷺ - ويأبون أن يجيئوا إليه . فإذا كانوا أصحاب حق في قضية فهم يسارعون إلى تحكيم رسول الله ، راضين خاضعين ، لأنهم واثقون أنه سيقضي لهم بحقهم ، وفق شريعة الله ، التي لا تظلم ولا تبخس الحقوق .

هذا الفريق الذي كان يدعي الإيمان ، ثم يسلك هذا السلوك الملتوي ، إنما هو نماذج للمنافقين في كل زمان ومكان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أفي قلوبهم مرض ﴾ ، يعين لا يخرج أمرهم أن يكون في القلوب مرض لازم لها ، أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم ، وأياما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم ، وما هو منطو عليه من هذه الصفات ، ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ أي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور ، تعالى الله ورسوله عن ذلك .

قال الحسن : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعه فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن ، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق ، وإذا أراد أن يظلم فدعى إلى النبي ﷺ أعرض ، وقال : أنطلق إلى فلان ، فأنزل الله هذه الآية . ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله ، فقال : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ أي سمعاً وطاعة ، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب ، فقال تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة المنعمون في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم .

اقتباس أحكام النور :

١- وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة .

٢- من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فاعرض فهو منافق معلوم النفاق .

٣- اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دونِ كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق .

٤- فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عزّ وجل وأن أهلها هم الفائزون من النار ودخول الجنان .

٥- إن حكم الله هو الحكم الوحيد المبرأ من مظنة الحيف .

٦- كل حكم غير حكمه هو مظنة الحيف أي الجور والظلم .

٧- إن الرضى بحكم الله ورسوله هو دليل الإيمان الحق .

القسم الثاني عشر : من الآيات (٥٣-٥٥)

قال الله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون . قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

البحث السابع عشر

مازال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين .. ولقد كان المنافقون يقسمون لرسول الله ﷺ - لئن أمرهم بالخروج إلى القتال ليخرجن ، والله يعلم إنهم لكاذبون ، فهو يرد عليهم متهكماً ساخراً من أيمانهم : ﴿ قل لا تقسموا طاعة معروفة ﴾ ..

لا تحلفوا فإن طاعتكم معروف أمرها ، مفروغ منها ، لا تحتاج إلى حلف

أو توكيد ، كما تقول لمن تعلم عليه الكذب وهو مشهور به ، لا تحلف لي على صدقك . فهو مؤكد ثابت لا يحتاج إلى دليل . ويعقب على التهكم الساخر بقوله : ﴿ إن الله خبير بما تعلمون ﴾ . فلا يحتاج إلى قسم ولا توكيد ، وقد علم أنكم تطيعون ولا تخرجون . ﴿ فإن تولوا ﴾ أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها ، فإنما على الرسول ما حمل من البلاغ والبيان ، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقى جزاءه وافيا عند ربه يوم القيامة . ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ إلى المنهج القويم المؤدي إلى الفوز والفلاح . ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ فليس مسئولاً عن إيمانكم ، وليس مقصراً إذا أنتم توليتم إنما أنتم المسئولون المعاقبون بما توليتم وبما عصيتم وبما خالفتم عن أمر الله وأمر الرسول .

وبعد استعراض أمر المنافقين ، والانتهاء منه على هذا النحو .. يدعهم السياق وشأنهم ، ويلتفت عنهم إلى المؤمنين المطيعين ، يبين جزاء الطاعة المخلصة ، والإيمان العامل ، في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير .

﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ . هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه سبحانه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم ، بهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه

مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر المقوقس ، وملوك عمان ، والنجاشي ملك الحبشة ، ثم قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ، فبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها ، وقتلوا خلقا من أهلها ، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة : عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ، وتوفاه الله عزّ وجلّ واختار له ما عنده من الكرامة ، ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله ، وتم في أيامه فتح بلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى ، وأهانه غاية الهوان ، وكسر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ من ربه أتم سلام وأزكى صلاة . ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية .

وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتله عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجبي الخراج من

المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » . فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا .

اقتباس أحكام النور :

١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى .

٢- عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان .

٣- طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصية موجبة للضلال والخسران .

٤- صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ .

٥- وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات .

٦- الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمه أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فعرضها للزوال .

٧- تحقق وعد الله الذي لا يتخلف ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعاً ، ولله الحمد والمنة والشكر .

٨- الاعتراف بنعم الله وشكره عليها دليل الإيمان والهداية والنور .

❃ ❃ ❃ ❃ ❃ ❃

القسم الثالث عشر : من الآيات (٥٦-٥٧)

قال الله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون . لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ .

البحث الثامن عشر

لذلك يعقب على هذا الوعد بالأمر بالصلاة ، والزكاة والطاعة .. فهذه هي العدة .. الاتصال بالله ، وتقويم القلب بإقامة الصلاة ، والاستعلاء على الشح ، وتطهير النفس بإيتاء الزكاة . وطاعة الرسول والرضى بحكمه ، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة ، وتحقيق النهج الذي أراده للحياة ، ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال ، وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال . فإذا استقمتم على النهج ، فلا عليكم من قوة الكافرين ، فما هم بمعجزين في الأرض ، وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق . وأنتم أقوياء بإيمانكم ، أقوياء بنظامكم ، أقوياء بعدتكم التي تستطيعون بها الدفاع عن دينكم . وقد لا تكونون في مثل عدتهم من ناحية المادية ، ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والأعاجيب إنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج الله ، وحمت هذا النهج في الحياة ، وارتضته في

كل أمورها .. إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن .

وما من مرة خالفت عن هذا النهج إلا تختلف في ذيل القافلة ، وذلت ، وطرد دينها من الهيمنة على البشرية ، واستبد بها الخوف ، وتخطفها الأعداء . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اقتباس أحكام النور :

١- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .

٢- تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه .

٣- بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

٤- أشير إلى تتمة الأحكام السابقة ، إثر تمهيد ما يجب امتثاله من أحكام كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ .

القسم الرابع عشر : من الآيات (٥٨-٦٠)

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم. والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خيرلهن والله سميع عليم ﴾ .

* * * * * *

البحث التاسع عشر

يقول : سيد قطب رحمه الله : (إن الإسلام منهاج حياة كامل ، فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها ، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها ، وفي كل حركاتها وسكناتها ، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة ، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة ، وينسق بينها جميعاً ، ويتجه بها إلى الله في النهاية . لقد سبقت في السورة أحكام الاستئذان على البيوت . وهنا يبين أحكام الاستئذان في داخل البيوت . فالخدم من الرقيق ، والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان . إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة فهم يستأذنون فيها . وهذه الأوقات هي :

الوقت الأول : قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة .

الثاني : وقت الظهرية عند القيلولة ، حيث يخلعون ملابسهم في العادة ويرتدون ثياب النوم للراحة .

الثالث : بعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل . أ.هـ

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ . روى من نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا

علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم ءاياته والله عليم حكيم ﴾ .

والمعنى لهذه الآية : أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاثة التي سبق ذكرها . فإذا اعتاد الأطفال ذلك ، ثم خرجوا عن حدّ الطفولة ، بأن يحتلموا عن تلك العادة ، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات ، كما يستأذن الرجال الكبار الذين لم يعتاد الدخول عليكم إلا بإذن . وهذا مما الناس منه في غفلة . وهو عندهم كالشريعة المنسوخة . وعن ابن عباس : آية لا يؤمن بها أكثر الناس : آية الإذن . وإني لآمر جارتي أن تستأذن علي وسؤل عطاء : أأستأذن على أختي ؟ قال : نعم ،وإن كانت في حجرك تمونها . وتلا هذه الآية . ﴿ والله عليم ﴾ بخلقه وما يصلح لهم ﴿ حكيم ﴾ في شرعة وهذه حالة توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه . قوله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً ﴾ أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحاً ولا يرجي منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها . أو عباءتها من فوق ثيابها التي على جسمها حال كونها غير متبرجة أي مظهرة زينة لها كخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين ، أو حمرة الشفتين ، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره .

﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ أي ومن لازمت خمارها وعجارها ولم تظهر

للأجانب كاشفة ووجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومآلاً ، وحسبها أن يختار الله لهن فما اختاره لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما أختاره الله لهنّ .

اقتباس أحكام النور :

١- وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الاستئذان في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات .

٢- وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا ، لااستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .

٣- بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿ وأن يستعففن خيرلهن ﴾ .

٤- في الآيات الكريمات آداب وأحكام الاستئذان في داخل البيوت .

٥- الأمر بإخفاء زينة النساء منعاً لإثارة الفتن والشهوات المحرمة .

٦- سبل العفة تقليل فرص الغواية ، والحيلولة بين المثيرات وبين النفوس.

القسم الخامس عشر من الآيات (٦١)

قال الله تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت ءابائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو اشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية مـن عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ .

البحث العشرون

مازال السياق في هداية المؤمنين وبيان ما يكملها ويسعدهم ففي هذه الآية الكريمة : رفع تعالى عنهم حرجاً عظيماً كانوا قد شعروا به فآلمهم وهو أنه قد رأوا أن الأكل مع ذوي العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لا يأكلون كما يأكل الأصحاء كماً وكيفاً والله يقول : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم

بينكم بالباطل ﴾ كما أن أصحاب العاهات قد تحرجوا أيضاً من مؤاكلة الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فألمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ .

ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده ، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الآكل الجماعي خشية أن يؤذي الآكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله : ﴿ وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ﴾ فقد كان من عادات بعضهم في الجاهلية ألا يأكل طعاماً على انفراد ، فإن لم يجد من يؤاكله عاف الطعام ، فرفع الله هذا الحرج المتكلف ، ورد الأمر إلى بساطته . بلا تعقيد ، وأباح أن يأكلوا أفراداً أو جماعات .

فإذا انتهى من بيان الحالة التي يكون عليها الأكل ذكر آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها : ﴿ فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ . وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين في الآية . فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه . والتحية التي يلقيها على قريبه أو على نفسه هي تحية من عند الله . تحمل ذلك الروح ، وتفوح بذلك العطر . وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ..

وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة . ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ . وتدركون ما في المنهج الإلهي من حكمة

ومن تقدير .. كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها .

اقتباس أحكام النور :

١- الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين .

٢- الإذن في الأكل الجماعي والإنفرادي بلا تحرج .

٣- الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والاصدقاء .

٤- مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً .

٥- رفع الحرج عن الأعمى والمريض والأعرج ، وعن القريب أن يؤكل من بيت قريبه .

* * * * * *

القسم السادس عشر - من الآيات (٦٢-٦٤)

قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفرلهم الله إن الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ألا إن لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ .

البحث الحادي والعشرون

وهذا أيضا أدب أرشده الله عباده المؤمنين ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة كأمور الحروب ونحو ذلك : أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا

عنه والحالة هذه إلا بعد الإستئذان ومشاورته ، ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء الله ، ولهذا قال: ﴿ فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين . فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنين بالله ورسوله ، ومقابلة أن الذين لا يستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسله وهم المنافقون حقا، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمر أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير عذر شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم . وقوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ هذا يحتمل أمور كلها حق:

الأول : أن يحاذر المؤمنون إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لا يرد فليس هو كدعاء غيره .

والثاني : أن لا يدعوا الرسول باسمه يا محمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يا نبي الله ويا رسول الله .

والثالث : أن لا يغلظوا في العبارة بل عليهم أن يلينوا اللفظ ويرققوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله ﷺ ثم يحذر المنافقين الذين يتسللون ويذهبون بدون إذن ، يلوذ بعضهم ببعض ، ويتدارى بعضهم ببعض .. فعين الله عليهم ، وإن كانت عين الرسول لا تراهم : ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون

لواذاً ﴾ .. وهو تعبير يصور حركة التخلي والتسلل بحذر من المجلس ، ويتمثل فيها الجبن عن المواجهة . وحقارة الحركة والشعور المصاحب لها في النفوس . ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . وإنه لتحذير مرهوب ، وتهديد رعيب .. فليحذر الذين يخالفون عن أمره ، ويتبعون نهجاً غير نهجه وتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة. ليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس ، وتختل فيهاالموازين ، وينتكث فيها النظام ، فيختلط الحق بالباطل ، والطيب بالخبيث ، وتفسد أمور الجماعة وحياتها ، فلا يأمن على نفسه أحد ، ولا يقف عند حده أحد ، ولا يتميز فيها خير من شر .. وهي فترة شقاء للجميع: ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الدنيا أو في الآخرة . جزاء المخالفة عن أمر الله ، ونهجه الذي ارتضاه للحياة. ويختم معه السورة كلها بإشعار القلوب المؤمنة والمنحرفة بأن الله مطلع عليها ، رقيب على عملها ، عالم بما تنطوي عليه وتخفيه .

﴿ ألا إن لله ما في السماوات والأرض ، قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ .

وهكذا تختم السورة بتعليق القلوب والأبصار بالله . وتذكيرها بخشيته وتقواه . فهذا هو الضمان الأخير . وهذا هو الحارس لتلك الأوامر والنواهي ، وهذه الأخلاق والآداب ، التي فرضها الله في هذه السورة وجعلها كلها سواء . لقد بين جل وعلا أنه يعلم ما عليه خلقه من الطاعة والمعصية وغير ذلك وأنه معلوم بالضرورة من الدين ، كما جاء مبيناً في آيات كثيرة .

١- كقوله تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا من قرآن ولا تعملون من

عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذا تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ .

٢- ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ .

٣- ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ .

٤- ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾ .

٥- ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ .

٦- ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ .

٧- ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

٨- ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات ، وفي هذه الآيات وما في معناها أحسن وعد للمطيعين ، وأشد وعيد للعصاة المجرمين .

اقتباس أحكام النور :

١- وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً ، وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة .

٢- وجوب تعظيم رسول الله ﷺ وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً .

٣- وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه .

٤- المتجرئ على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة ، والعياذ بالله .

* * * * * *

الخاتمة في وصف الجنة من كلام ابن القيم رحمه الله

قال : (وكيف قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص .

فإن سألت عن أرضها وتربتها ، فهي المسك والزعفران وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن . وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر . وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وإن سألت عن بنائها ، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب . وإن سألت عن أشجارها ، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب . وإن سألت عن ثمرها ، فأمثال القلال، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها ، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل ، وإن سألت عن أنهارها (فأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإن سألت عن طعامهم ، (ففاكهة مما يتخيرون ، ولحماً طرياً مما يشتهون) وإن سألت عن شرابهم ، فالتسنيم ، والزنجبيل ، والكافور وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة ، في صفاء القوارير . وإن سألت عن سعة أبوابها ، فبين المصرعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين يوماً وهو قظيظ من الزحام . وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها ، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وإن سألت عن ظلها ، ففيها شجرة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها .

وإن سألت عن سعتها ، فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام . وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة ، طولها ستون ميلاً من تلك الخيام . وإن سألت عن ارتفاعها ، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار . وإن سألت عن لباس أهلها ، فهو الحرير والذهب . وإن سألت عن فرشهم فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم عليه السلام أبي البشر . وإن سألت عن سماعهم ، فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منهما خطاب رب العالمين . إلى أن قال رحمه الله : وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها ، فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان . وإن سألت عن حليهم ، فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان . وإن سألت عن غلمانهم ، فولدان مخلدون ، كأنهم لؤلؤ مكنون . وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهنّ الكواعب والأتراب ، اللاتي جرى في أعضائهم ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيئ البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين ، وإن ضمها فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي

جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولا ستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولا أمن على ظهرها بالله الحي القيوم. ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولاتبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها. قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهى غاية أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا ولم يطمثها قبله أنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظماً منثوراً. وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً. وإن سألت عن حسن العشرة ، ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج ، بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج ، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في برج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن سألت عن السن فاتراب في أعدل سن الشباب .

وإن سألت عن الحسن فعل رأيت الشمس والقمر. وإن سألت عن

اللون فكانه الياقوت والمرجان . وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان اللات جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس ، وقرة النواظر . هذا وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبه ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد ، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد .. فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزير كم فحيّ على زيارته، فيقولون: سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا النجائب قد أعدت لهم ، فيستوون على ظهورها ، مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً ، وجمعوا هناك ، فلم يغادر منهم أحداً ، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ، ثم نصب لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء - على كثبان المسك ، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا . حتى إذا استقر بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عندالله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ؟ ويثقل موازيننا ؟ ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا عن النار ، فبينما هم كذلك ، إذا سطع لهم نور اشرقت له الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، قد أشرف عليهم من فوقهم .

وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم . فلا ترد هذه التحية بأحسن من

قولهم : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فيضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ، ولم يروني ، فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة . أن قد رضينا فارض عنا ، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني ، فيتجمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم ، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا ، لحترقوا ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ يذكره ببعض غدراته في الدنيا . فيقول : يا رب ألم تغفر لي ؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغتك منزلتك هذه ، فيا لذة التسماع بتلك المحاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ، ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ (أ-هـ) . [1] اللهم يا من عمّ العباد فضله ونعماؤه ، ووسع البرية جوده وعطاؤه ، نسأل منك الجود والإحسان ، والعفو والغفران ، والصفح والأمان ، والعتق من النيران .

وتوبة تجلو أنوارها ظلمات الأساءة والعصيان ، يا كريم يا رحمان ، اللهم ثبت إيماننا بك ثبوت الجبال الراسيات ، ونور قلوبنا بنور الإيمان ، واجعلنا

---

(١) نقلاً من موارد الظمآن لدروس الزمان (ج٥/ص ٥٧٥-٥٨٥ .

هداة مهتدين وأصلح أولادنا ، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ، واجمعنا وإياهم مع عبادك الصالحين في جنات النعيم وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * * * * *

وصية تنفعك أيها المسلم

أخي المسلم إذا كان وقد اطلعت على كتابنا هذا وانشرح صدرك ورأيت فيه من الفوائد الكثيرة التي تنفع المسلمين وتنير قلوبهم . فما عليك أنت إذا كنت تريد الزيادة من العلم المفيد ، فاطلع وأقرأ مؤلفاتنا المباركة إن شاء الله تعالى - وهي :

١- كتاب العقود الذهبية شرح السبل السوية .

٢- مجالس الخير .

٣- قدرة العظيم الشأن وغيرها .

فإنك سوف تجد المزيد من العلم والفوائد الكثيرة بإذن الله وعونه . وبعد هذه الوصية أطلب منك أخي المسلم دعواتك الصالحة في ظهر الغيب التي تنفعنا في الدنيا والآخرة وأنت تأجر . لأن الإنسان إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب وكَل الله ملكاً من الملائكة يؤمن على ذلك الدعاء كلما دعا الإنسان يقول الملك آمين ولك مثله كما ورد ذلك في الحديث عن أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم . هذا ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علمنا ويزيدنا من العلم النافع ويوفقنا للأعمال الصالحة ، كما نسأله حسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار ، إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعوات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

حوار في سطور مع المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تم هذا الحوار بيني وبين الشيخ على عُجالة سريعة بعد الانتهاء من كتابة (اقتباس أحكام النور من سورة النور) كي أتعرف على فضيلته وعلى مشوار حياته منذ طفولته وحتى الآن . وكان السؤال الأول :

☆ فضيلة الشيخ نريد أن نتعرف على الاسم من خلال بطاقتكم ؟

- الاسم / أحمد بن عبدالله بن محمد مشهور حمدي .

☆ فضيلة الشيخ في أي مكان ولدت وفي أي عام ؟

- فقال : من مواليد قرية عنطوطة التابعة قرى وادي تعشر عام ١٣٤٨هـ .

☆ فضيلة الشيخ كيف كانت نشأتك ؟

- فقال : نشأت في حجر والدي الذي فرغني للدراسة حيث قرأت القرآن الكريم على يد بعض الفقهاء .

- وحين وصل إلى منطقة الجنوب الداعية الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي درست على يديه في مدينة صامطة القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية وذلك في عام ١٣٥٨هـ وعينت مدرساً من قبل الشيخ في مدارس الجنوب .

- التحقت بالمعهد العلمي في صامطة عام ١٣٧٧هـ وتخرجت منه في عام ١٣٨٣هـ.

- التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحصلت على ليسانس الشريعة وذلك عام ١٣٨٧هـ .

- عينت مدرساً من قبل وزارة المعارف بالمدرسة المتوسطة بمدينة ضمد عام ١٣٨٨هـ إلى أن أحيلت للتقاعد في عام ١٤١٠هـ لبلوغي السن النظامي للتقاعد.

نشاطاته :

☆ فضيلة الشيخ ما هي نشاطاتك في مجال الدعوة ؟

- رشحت للدعوة والإرشاد بمركز العيدابي من قبل إدارة تعليم جازان بتاريخ ١٣٩٩/٩/٢١هـ وعينت في يوم ١٣٩٩/١٠/٥هـ إلى ١٣٩٩/١٢/٥هـ .

- في عام ١٤٠٤هـ رشحت من قبل إدارة التعليم بصبيا موجها في حملة محو الأمية بخبت السيد في الفترة من ١٤٠٤/١٠/٨هـ إلى نهاية ١٤٠٥/١/٢هـ .

بحوثه العلمية :

☆ فضيلة الشيخ هل تذكر لي بحوثك العلمية التي كتبتها ؟

- البحوث العلمية التي كتبتها هي :-

١- العقود الذهبية شرح السبل السوية . (طبع)

٢- مجالس الخير . (طبع)

٣- قدرة العظيم الشأن . (مخطوط)

٤- الزواجر القاطعات في تعاطي المخدرات والمسكرات . (مخطوط)

٥- ذكريات وحقائق . (مخطوط)

٦- اقتباس أحكام النور . (وهو الذي بين يديك)

☆ فضيلة الشيخ ألا من نصيحة تقدمها إلى طلاب العلم وإلى الشباب المسلم ؟

- نصيحتي إلى جميع المسلمين وأخص بالذكر طلاب العلم أولاً تقوى الله سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقال : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ ثانياً الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله فهو نور لصاحبه في الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال رسول الله ﷺ « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وطالب العلم يستغفر له كل من في السماوات والأرض حتى الحيتان في لجج البحار كما قال صلى الله عليه وسلم فهو يرفع صاحبه ويُعلى شأنه في الدنيا والآخرة . ثالثاً : أوصيهم وأنصحهم بالابتعاد عن جميع المعاصي وكما قال الإمام الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال أعلم أن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

رابعاً : عليهم إفراد الله جلّ وجلاله بجميع أنواع العبادة كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وأهم العبادة توحيد الله والإخلاص له سبحانه وتعالى في جميع الأعمال والأقوال والأحوال الظاهرة والخفية قال الله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ .

خامساً : يجب على المسلمين المحافظة على الصلوات المكتوبات كما قال الله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ وكما ورد في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم . وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» رواه الترمذي . ولأهمية الصلاة فقد فرضها الله على نبيه من فوق سبع سماوات في ليلة الإسراء والمعراج الثابتة في كتاب الله وسنة النبي ﷺ . فعلى المسلمين التمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ كما قال الرسول ﷺ : «تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » أو كما قال ﷺ . كما أنهاهم أيضاً وازجرهم الزجر القاطع عن تعاطي المخدرات والمسكرات بجميع أنواعها وأشكالها من مطعومات ومشروبات هذا ونسأل الله لنا ولهم التوفيق وما أريد بهذه النصيحة إلا الإصلاح وما توفيقي إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا أفضل الخلق محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين .

☆ وأخيراً فضيلة الشيخ جزاك الله خير الجزاء وأسأل الله أن يزيدك من العلم النافع وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتك ، والله نسأل أن يبارك لنا في أهل المملكة حكومتاً وشعباً ومشايخ وعلماء وأن يحفظهم بحفظه إنه على كل شيء قدير . سبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك .

أعد الحوار

ظريف خليل عبداللطيف

ج.م.ع

مدير مكتب المجلي للخدمات العامة بضمد

فهرس المراجع

بيان ببعض الأسماء للكتب الواردة في اقتباس أحكام النور

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	جامع البيان في تفسير القرآن	محمد بن جرير الطبري
٣	تفسير ابن كثير	ابن كثير القرشي
٤	فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني
٥	في ظلال القرآن	سيد قطب
٦	تفسير أبو السعود	أبو السعود العماري
٧	أضواء البيان	محمد أمين الشنقيطي
٨	تفسير محاسن التأويل	محمد جمال الدين القسمي
٩	الإتقان في علوم القرآن	السيوطي
١٠	أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائري
١١	مختصر تفسير ابن كثير	محمد علي الصابوني
١٢	صحيح البخاري	محمد ابن اسماعيل البخاري

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٣	صحيح مسلم	مسلم ابن الحجاج القشيري
١٤	سنن ابن ماجه	ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني
١٥	سنن النسائي مع الشرح	محمد المختار
١٦	سنن أبي داود	لأبي داود السجستاني
١٧	سنن الترمذي	لأبي عيسى الترمذي
١٨	المسند	أحمد بن محمد بن حنبل
١٩	الموطأ	للإمام مالك بن أنس
٢٠	رياض الصالحين	للإمام النووي
٢١	فتح الباري	لابن حجر العسقلاني
٢٢	شرح مسلم	للإمام النووي
٢٣	نيل الأوطار	الشوكاني
٢٤	سبل السلام	للصنعاني
٢٥	زاد المعاد	ابن القيم
٢٦	تحفة الأحوزي	المباركفوري
٢٧	شرح موطأ مالك	محمد الزلقاني

٢٨	أحكام الأحكام	ابن دقيق العيد
٢٩	تيسير العلام	ابن صلاح آل بسام
٣٠	دليل الفالحين	محمد علان الشافعي
٣١	المغني	ابن قدامة
٣٢	فقه السنة	السيد سابق
٣٣	الفتاوى الكبرى	شيخ الإسلام بن تيمية

وكتب أخرى كثيرة

فهرس موضوعات : اقتباس أحكام النور من سورة النور

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥
٢	تفسير سورة النور القسم الأول من الآية (١-١٠)	٩
٣	البحث الأول	١٠
٤	البحث الثاني	١١
٥	تعريف الزنا	١١
٦	البحث الثالث	٢٠
٧	تنبيهات	٢٤
٨	البحث الرابع	٣١
٩	مسائل تتعلق بآية القذف	٣٢
١٠	تشديد عقوبة القذف بالزنا	٣٩
١١	البحث الخامس في قذف الأزواج	٤١
١٢	تشديد عقوبة القذف منعاً لإشاعة الفاحشة	٤٥
١٣	اقتباس أحكام النور	٤٧

م	الموضـــــــــوع	الصفحة
١٤	القسم الثاني من الآيات من (١١-٢٠)	٤٩
١٥	البحث السادس	٥٠
١٦	اقتباس أحكام النور : من حديث الإفك والكذب المقلوب	٦٢
١٧	فإن قيل فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها	٦٣
١٨	القسم الثالث من الآيات من (٢١-٢٢)	٦٦
١٩	البحث السابع	٦٦
٢٠	اقتباس أحكام النور	٦٩
٢١	القسم الرابع الآيات من (٢٣-٢٦)	٧١
٢٢	البحث الثامن	٧١
٢٣	البحث التاسع الأمر بالقرار في البيوت على النساء	٧٤
٢٤	اقتباس أحكام النور	٧٧
٢٥	القسم الخامس من الآيات (٢٧-٢٩)	٧٨
٢٦	البحث العاشر	٧٨
٢٧	عدم الوقوف على الأبواب	٨٢

م	الموضوع	الصفحة
٢٨	مسائل تتعلق بهذه الآية ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾	٨٣
٢٩	اقتباس أحكام النور	٨٥
٣٠	القسم السادس من الآيات (٣٠-٣١)	٨٦
٣١	البحث الحادي عشر	٨٦
٣٢	آداب تلتزم بها المرأة المسلمة	٨٩
٣٣	اقتباس أحكام النور	٩٦
٣٤	القسم السابع من الآيات (٣٣-٣٤)	٩٧
٣٥	البحث الثاني عشر	٩٧
٣٦	اقتباس أحكام النور	١٠٣
٣٧	القسم الثامن من الآيات (٣٥-٣٨)	١٠٤
٣٨	البحث الثالث عشر	١٠٤
٣٩	اقتباس أحكام النور	١١٠
٤٠	القسم التاسع من الآيات (٣٩-٤٢)	١١١
٤١	البحث الرابع عشر	١١١

م	الموضوع	الصفحة
٤٢	اقتباس أحكام النور	١١٥
٤٣	القسم العاشر من الآيات (٤٣-٤٦)	١١٦
٤٤	البحث الخامس عشر	١١٦
٤٥	اقتباس أحكام النور	١١٩
٤٦	القسم الحادي عشر من الآيات (٤٧-٥٢)	١٢٠
٤٧	البحث السادس عشر	١٢٠
٤٨	اقتباس أحكام النور	١٢٣
٤٩	القسم الثاني عشر من الآيات (٥٣-٥٥)	١٢٤
٥٠	البحث السابع عشر	١٢٤
٥١	اقتباس أحكام النور	١٢٧
٥٢	القسم الثالث عشر من الآية (٥٦-٥٧)	١٢٩
٥٣	البحث الثامن عشر	١٢٩
٥٤	اقتباس أحكام النور	١٣٠
٥٥	القسم الرابع عشر من الآيات (٥٨-٦٠)	١٣١
٥٦	البحث التاسع عشر	١٣٢

م	الموضـــــــــــــوع	الصفحة
٥٧	اقتباس أحكام النور	١٣٤
٥٨	القسم الخامس عشر من الآية (٦١)	١٣٥
٥٩	البحث العشرون	١٣٥
٦٠	اقتباس أحكام النور	١٣٧
٦١	القسم السادس عشر الآيات (٦٢-٦٤)	١٣٨
٦٢	البحث الحادي والعشرون	١٣٨
٦٣	اقتباس أحكام النور	١٤٢
٦٤	الخاتمة في وصف الجنة من كلام ابن القيم رحمه الله	١٤٣
٦٥	وصية تنفعك أيها المسلم	١٤٩
٦٦	حوار في سطور مع المؤلف	١٥٠
٦٧	فهرس المراجع	١٥٥
٦٨	فهرس موضوعات : اقتباس أحكام النور من سورة النور	١٥٨